المجلد السادس عشر | 18259 | الجزء الحادي عشر والثاني عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤١ م
ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً
في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

شيطان الظهيرة

هذا عنوان رمزي لا حقيقة للشياطين فيه . وقديمًا ادخلوا الشياطين في الطب واسكنوها صدور المغلوبين على أعصابهم ، ضيوفًا غير مرحبة ، فكانوا يعتقدون ان المصابين بداء الفزع او الهيستريا «مشيطنون» ويأولون شفاءهم بطرد الشيطان بغريب الوسائل والطرق .

جاء في المزمور التسعين للنبي داود : لا تخش من هول الليل ، ولا من سهم يطير في النهار ، ولا من أمرٍ يدبر تحت جنح الظلام ، ولا من شيطان الظهيرة . وقد فسر الشراح شيطان الظهيرة بالذي يغري الانسان بالفساد ويحمله على الفسق عقيب الافراط من ملذات المائدة . واستعاره الروائي بول بورجه للحب الذي يستولي على الانسان بعد الاربعين او الخمسين لانه حب عنيد أعمى لا يعرف سلطة الواجب ولا حداً للعاطفة .

في هذا الدور من العمر بعد أن يبلغ الانسان ذروة القوة ويشرف على منحدر الهرم ، يصيب الوظائف التناسلية تغيرات لا عهد بها ، ويستولي عليها انحطاط تدريجي كثيراً ما يرافقه يقظة الشهوة وهيجان الحواس .

وقد استهزأ مولير في روايته « مدرسة النساء » بالرجل الذى يعشق في هذا الدور الا ان الشاعر العربي تدارك ذلك فقال :

وماذا تبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزت حد الأربعين

على أن التاريخ يقدم لنا شواهد كثيرة عن هذا الحب الذي يصح أن نسميه بالحب الرجعي . فقيصر الرومان بعد أن وصل ما وراء الغاية من المجد وتمتع ما شاء بالحب والانتصار واعجاب الناس قصد الى مصر وهو في السادسة والخمسين من العمر ليخضع العصاة فاذا بكليوباترا الملكة الشابة تسلبه اللب وتخضعه ، ولولا إلحاح قواده رجاله وتهديداً لما رضي بالرجوع الى بلاده . وأراد أن تشترك كليوباترا في عيد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تمجيده فأرسل في طلبها وأسكنها أفخم قصوره وأقام لها تمثالاً من الذهب في هيكل آلهة الحب .

وهنري الرابع في عامه السابع والخمسين علق بحب شارلوت موغرامي وهي لم تشهد ستة عشر ربيعاً ، وأضاع فيها رشده حتى أفضى به الأمر الى التخفي في زي سائس الخيل ليتمكن من رؤيتها بعد أن هجرت القصر الملكي هرباً منه .

ومثل من ذكرنا الشاعر روشار ، وشاتوبريان ، وواكنر ، والفرد دوفيني ، وفيكتور هيكو ، واوكست كنت ، وبوفون ، وغيرهم كثير .

وأغرب حب من هذا النوع هو الذي اشتهر به برليذر الموسيقي فقد احب فتاة في صباه ، ثم بعد أن بلغ السبعين ونقل فؤاده حيث شاء من الهوى عاد إلى الحبيب الاول واخذ يراسل الفتاة وقد صارت عجوزاً وجدة ، ويعرض عليها قلبه المتيم فنصحته بالكف عن ملاحقتها بعد ان بلغت من العمر عتياً .

ومن قرأ رسائله ورأى ما فيها من بلاغة التعبير وقوة الاقناع وصدق العاطفة تولاه الدهش من هذا القلب البشري وما يمكنه أن يحمل من غرائب الأسرار او يتقلب فيه من عجائب الأطوار .

هذا الحب في الكهولة يمتاز بانه لا ينحصر في اللذة الجسدية بل يتناول شعوراً آخر هو نصف الحب بل أشرف مافيه وانقى وأبقى وهو الصداقة . والى جانب الصداقة عواطف كثيرة مختلفة من خوف وغيره وحياء وفضول وشدة تأثر وغير ذلك يديرها خيال خصب يصور الحياة بألوان زاهية الإشراق ساحرة الآفاق .

ولا حاجة الى جمال فائق ليوحي هذا الحب فلا سلطان هنا للحظ الساحر ، والخد الاسيل والقد الرشيق وحسب المرأة قليل من الجاذب لتأخذ سبيلاً الى القلب . ثم نجد من اختلاف الميول والأذواق مالا يقل عن اختلاف الوجوه ؛ فمنهم من يتعشق المرأة لبساطة ما فيها ومنهم رغبةً بالمفاداة ومنهم من يستهويه الجمود والبرودة ويلذ له ان يحب ليبعث الحياة في هذا الجماد الى آخر ما هنالك . ولا يعني هذا تساهلا من جانب الكهول في اختيار من يحبون فقد يكونون كالنهم المترف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يرضيه شيء من الطعام مهما تفنن الطاهي في علاجه ، او بالعكس كالذي يأكل كل ما يصيب ويفترسه افتراساً وربما اختنق به ، والغالب ان الذين يختنقون هم القلة وأكثر الكهول يحاولون الحصول على أفضل ما يمكن ، اعتداداً بالنفس ولسان حالهم يقول :

لا يرعكِ المشيب يا ابنة عبـ ـد الله فالشيب جلةٌ ووقار
إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار

والمعروف أن السواد الأعظم من هؤلاء ان لم نقل كلهم يضيعون قوة الاشراف على حركاتهم وتضعف الارادة فيهم الى درجة ينسون معها الواجب نحو ازواجهم وبنيهم . ولا يردهم عن غيهم نصح أو تأنيب ولا يشفيهم من دائهم كاهن ولا طبيب . فهم كما قال الشاعر :

ولما أبى الا جماحاً لحبه ولم يسلُ عن ليلى بمال ولا أهل
تسلّ بأخرى غيرها فإذا التي تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

أما الحب الروحاني المجرد عن شوق الجسد ولذة المادة فلا أثر له فيهم . واذا تظاهروا به فاستدراجاً للمرأة وتوصلاً الى الحب الآخر . وقد عرفت المرأة هذا فأصبحت لا تؤمن ولا تصدق . ولا غرو فان الذي يستميل الرجل للوهلة الأولى ويحرك فيه عاطفة الهوى هو الجاذب او جمال الصورة قبل ان يتبين ما وراء ذلك من حسن الخلال وعذوبة الأخلاق . لذلك ترى الشعر وهو المعبر عن العواطف سواء أكان الغزل فيه حقيقة ام خيالا لا يذكر الحب الا مقروناً بالوصال . قال المتنبي :

زودينا من حسن وجهك ما دا م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدا ر فإن المقام فيها قليل

وقال الحمداني :

معللتي بالوصل والموت دونه اذا متّ عطشاناً فلا نزل القطر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال غيره :

صلي واغنمي اجراً فما وردة الربى تدوم على حال ولا وردة الخد

الى آخر ماهنالك مما لا يقع تحت حصر .

وقلما تجد من الشعراء من اكتفى بالروح كقول الواحد :

اني أحبك حباً لا لفاحشة والحب ليس به في الله من باس

او قول الآخر :

أحبك يا ليلى على غير ريبة وما خير حب لا تعف سرائره

والذى يجعل الكهل اكثر استعداداً من غيره ومبلاً للذة الجسدية قوة تصوره وسرعة تهوره وسهولة تأثر جهازه العصبي والخبرة الواسعة التي اكتسبها فيما مضى ، فتراه يتفنن في الطرق التي تجلب له هذه اللذة وقد لا يحجم من أجلها عن ارتكاب الموبقات ما لم يكن منه له زاجر .

واذا عدنا الى الماضي وجدنا سعي الانسان وراء ملذات الجسد لم يخل منها زمان ولا مكان . فقد كان التهتك عادة في الطبقات العليا من الشعب ، والزواج المحرم حلالا . وقد شرع الحكيم سولون شرعة للبغاء وضعها تحت حماية الآلهة وكانت بلاد الاغريق ضدوماً ثانية ، ومدارس الفلاسفة مجتمعاً للفساد مما ضج له المشترعون ورجال القانون فجعلوا الحرق بالنار عقاباً لكل من جار في الحب عن قصد السبيل .

وشيطان الظهيرة يزور الرجال أكثر من النساء لان الانحطاط اسرع الى جسم المرأة فلا يدع لها مجالاً لاستقباله . على انه لا ينكر ان اقتراب زمن اليأس يوقظ حاسة الجنس في المرأة ويسبب لها أعراضاً مرضية وأحلاماً مزعجة كانوا يعتقدون فيما مضى أنها من عمل السحرة او الأبالسة . وقد فسر « فرود » هذه الاعراض حسب طريقته المعروفة فهو يعتقد أن الجاذب الجنسي هو المحور الذي تدور عليه كل حركاتنا وأعمالنا وان الحياة البشرية جمعاء معلقة بهياج تناسلي او رغبة أطلق عليها اسم Cibido وهذه الرغبة التناسلية موجودة في كل أدوار العمر من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطفل الرضيع الى الشيخ المنحني تحت أثقال السنين . وان اكثر الأعراض العصبية والدماغية ان لم نقل كلها ناتجة عن تأثرات جنسية كامنة في العقل الباطن ، مردودة او مكبوتة أو ممنوعة من الظهور . وبناء على هذا الاعتقاد أوجد طريقته المشهورة اي المعالجة بالتحليل النفساني Psychanalyse وهي أن يستلقي المريض على ظهره ويأخذ بسرد حوادث ماضيه فيصغي الطبيب اليه وهو يحاول ان يقع منها على أثر قديم يمكن الرجوع اليه فى تعليل الداء الحاضر . وهذه الطريقة قديمة معروفة فهي لا تختلف عن الاعتراف عند النصارى بل ربما كانت دونه في الجدوى لان فكرة الغريزة الجنسية والاعتقاد بها مقدما تؤثر في حكم الطبيب فتضلله وتضلل المريض معاً .

على أنه لاحاجة لسر العقل الباطن لتعليل التبدلات التي تحدث في زمن اليأس فالسبب فيسولوجي أكثر مما هو بسيكولوجي لان الهرم يصيب الغدد النسائية فيقل افرازها الضروري للتغذية العمومية وللوظائف العصبية . وقلة الافراز تحدث اختلالا يفضي إلى هذا الانقلاب الى ان يتعود الجسم ويعتاض عن هذه الغدد بغيرها من الغدد الصماء التي تعطي الجسم ما قصر عنه المبيض وتعيد اليه النظام .

وللحب حول الخمسين فائدته الصحية اذا قرن بالزواج فقد دلت الاحصاءات أن الجرائم في هذا الدور من العمر اقل عند المتزوجين منها عند العازبين والأرامل وكذلك الوفيات .

لا أقصد بذلك الى وجوب الزواج على كل من بلغ هذه السن فالذي ينفق شبابه في الملاهي وينهك عقله وبدنه ثم يختار فتاة في مقتبل العمر لترافقه فيما بقي من طريق الحياة مجرم في نظري وخير له أن يردد مع الشاعر :

سلام على الدنيا ولذة عيشها سلام غدو أو رواح الى الرمس

واذا كان للحب في الكهولة هذه الفائدة الصحية المحصورة في دائرتها الضيقة فإن اضراره كثيرة لان الافراط في هذا الدور خطر عظيم وعندي أن الأكل بدون جوع او الشرب بلا ظمأ لأخف ضرراً من التهيج الذي لا داعي له . فالجسد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كالمصباح الكهربائي الذي تحمله في جيبك لينير سبيلك في دجى الليل اذا لم تقتصد في استعماله انطفأ قبل حينه ولم يخدمك نوره الى آخر الطريق .

وبعض الناس أكثر تعرضاً لهذا الخطر من سواهم كالمحامين والأطباء والسياسيين وكل ذي نفوذ مالي أو اجتماعي بما تعودهم عليه سهولة الحصول على مايريدون من التراخي في مدافعة شهواتهم فتراهم أسرع من غيرهم للخروج من دائرة الاعتدال في الحب . وقد قالت الحكماء : خير الأمور الوسط . الوسط في الثروة وفي الشهوة وفي الصحة وفي الذكاء وفي الغذاء وفي المزاج وفي المناخ فمن عرف الوقوف عند هذا الحد فقد اهتدى الى سر إطالة الحياة على الأرض والله أعلم .

هذا ما عن لي ذكره عن شيطان الظهيرة . فهو في الغالب يحمل الى الجسم فوق عبء الأيام عبء الآلام . وقد يكون من الملائكة الساقطين فيذكر السماء حيناً بعد حين .

الدكتور

فؤاد فياض

أذيعت في راديو الشرق في ١٢ ايلول سنة ١٩٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابو العلاء والتزكية

ما سمعت في الأمم الغابرة ولا رأيت في الأجيال الحاضرة رجلاً من العلماء الافذاذ مني بمثل ما مني به أبو العلاء المعري فقد قضى من العمر ستاً وثمانين سنة صاحبه فيها من المهد الى اللحد ضروب من البؤس والشقاء والمرض والفاقة . وصاحبه فيها صنوف مختلفة من كيد الكائدين وحسد الحاسدين .

ولشدّ ما عرضوه بوشاياتهم الى موارد الهلكة وحرفوا كلمه عن مواضعه ليجعلوه عرضة للأذى والبطش ، وحاولوا أن يطفئوا بأفواههم نور الله الذي أذكاه فيه ، فأبى الله الا أن يتم نوره على الرغم من أنوفهم .

ثم فارق الحياة ولكن الشقوة لم تفارقه في عصر ولا مصر ولا ذنب له الا ذنب صُحر[1] ولا عيب فيه الا سوء حظه أو حظ هذه الأمة ولقد صدق في قوله

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنب لي الا العلى والفواضل

وقوله :

لابد للحسناء من ذام ولا ذام لنفسي غير مي بختها

ترك هذا المسكين للناس دنياهم وأعرض عما فيها من المتع والملاذ وسجن نفسه في كسر بيته وقضى حياته الطويلة في الدراسة والتعليم ، حتى أتى من ضروب العبقرية بما لم تستطعه الأوائل ولم تدرك شأوه فيه الاواخر .

ثم ماذا كان جزاؤه من هذه الامة التي لم تعدم في كل عصر فئة من رجالها تخنق كل فضيلة بيدها وتئد كل عبقرية في مهدها ؟ كان جزاؤه أن قيض الله له فريقاً من العلماء الذين يتخذون من الدين سلاحاً لمحاربة كل نابغ ، ومطاردة

---

(١) صُحر بنت لقمان العادي خرج هو وابنه لقيم في اغارة فأصابا ابلاً وسبق لقيم فأتى منزله فنحرت اخته صحر جزوراً من غنيمته وصنعت منه طعاماً تتحف به أباها اذا قدم فلما قدم لقمان قدمت له الطعام وكان يحسد ابنه لقيما فلطمها ولم يكن لها ذنب . وقد ضرب بها المثل فقيل لا ذنب له الا ذنب صحر . وهذا المثل يضرب لمن عوقب على الاحسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كل نابه فأخذوا يكفرونه بالشبهة ، ويرمونه بالالحاد والزندقة . بالظن والتوهم ؛ ويؤولون كلامه على ما يوافق أهواءهم وان كان صريحاً في غير ذلك .

ومن أغرب ما رأيته في هذا الباب : وصمه بالمزدكية . ولعل اول من رماه بها الذهبي فانه قال فيه : هو صاحب التصانيف المشهورة ، والزندقة المأثورة ، له رسالة الغفران قد احتوت على مزدكة واستخفاف .

ذكر ذلك الذهبي ولم يفسر لنا المزدكة ولا بين موضعها في رسالة الغفران ثم جاء الدكتور طه حسين فتمسك بهذه الكلمة واوضحها وبنى عليها أحكاماً جائرة على أبي العلاء فقال في تجديد الذكرى (ص ٣٠٠) من الطبيعي اذا اعرض أبو العلاء عن النسل ان يعرض عن الزواج لانه سبيله ولأن فيه شروراً أخرى ذكرها غير مرة في اللزوميات ... على انه قد نهى عن الزواج نصاً فقال :

فان انت لم تملك وشيك فراقها فعف ولا تنكح عوانا ولا بكراً

وذلك جاءه من سوء ظنه بالنساء واعتقاده أن العفة والاحصان فيهن نادرة ولعل هذا الرأي هو المزدكية التي أشار إليها الذهبي .. ونسب شيئاً منها الى رسالة الغفران لاشتمال هذه الرسالة على ألوان من إباحة القرامطة يرويها رواية الساخط عليها . وفي اللزوميات مايؤيد ميل أبي العلاء في بعض أطواره الى الاشتراكية في النساء .. وسترى أن مذهب ابي العلاء في الاخلاق لا ينافي هذا الرأي .. ثم قال في مبحث الاخلاق (ص ٣٠٣) ابو العلاء يرى رأي ابيقور [في اللذة] ثم قال : فليس من الغريب بعد ذلك ان يشير ابو العلاء بالاشتراكية في النساء . الى آخر كلامه .

هذا ما فسر به المزدكية التي الصقها بأبي العلاء ولقد رجعنا الى ابن النديم المتوفى نحو سنة ٣٧٨ فرأيناه يقول في الفهرست (ص ٤٧٩) ان مزدك القديم مجوسي في الأصل من الخرمية المعروفين بالاقطة أمر اصحابه بتناول اللذات والعكوف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ومع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذه الحال يرون افعال الخير وترك القتل وادخال الآلام على النفوس ولهم مذهب في الضيافات ليس لأحد من الأمم اذا أضافوا الإنسان لم يتنعوه من شيء يلتمسه كائنًا ما كان . وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذي ظهر في أيام قباذ بن فيروز وقتله انوشروان وقتل أصحابه وخبره مشهور معروف . ونظرنا في كتاب الملل والنحل لمحمد ابن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ فاذا هو يقول (ص ٨٦) على هامش الفصل ج ٢ . مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد انوشروان .. وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال أحل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى انه كان أمر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ...

ورأينا ابن حزم يقول في الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج ٢ ص ١١٦) وكان مزدك يقول بوجوب تأمي الناس في النساء والأموال .

ورأينا ابن الاثير يقول في الكامل ج ١ ص ١٨٢ في أيام قباذ بن فيروز ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والأملاك والنساء والعبيد والإماء حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء البتة . فكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الأموال والعبيد والإماء وغيرها من الضياع والعقار وحرم ذبح الحيوان وقال : يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن وذكر انه طلب امرأة قباذ ليقضي وطره منها فأجابه الى ذلك فقام ابنها انوشروان وقبل رجلي مزدك وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه ، فتركها .

هذا ما قاله العلماء في مزدك واذا قايسنا ماعرفناه من احوال ابي العلاء الى ما عرفناه في مزدك تبين لنا ان ابا العلاء يخالفه في تناول اللذات والعكوف على الشهوات وأكل ما يتولد من الحيوان وادخال الآلام على النفوس وقتلها لتخليصها من الشر ، والاشتراك في الاموال الا بقدر معين في الشرع ونحو ذلك ، ولم يوافقه الا في فعل الخير وترك القتل والنهي عن المباغضة . وهذا مما جاءت به الشريعة الاسلامية بل الشرائع السماوية كلها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ذكرنا أن الذهبي لم يفسر المزدكة وان الدكتور فسرها بالاشتراك في النساء والإباحة ، وهذا تقوّل على أبي العلاء ومن استقصى كلامه في اللزوم وغيره يتضح له منزلة هذ القول من الحقيقة ويتبين له أن ابا العلاء أشد الناس غيرة على المرأة ، وأكثرهم تشدداً عليها وأوفرهم حرصاً على ابعادها عن مواطن الريبة وان افراطه في الغيرة عليها ، والحرص على عفافها حمله على الخروج عن آداب الشريعة الاسلامية والاسراف في الارتياب فيها ، فهو لا يريد أن تتعلم المرأة القراءة والكتابة

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالجمد والاخ لاص تغني عن يونس وبراءة

وانما نهى عن تعليمها ذلك غيرة عليها لأنها :

تهتك الستر بالجلوس أمام الـ تر ان غنت القيان وراءه

وهو يعتقد أن المرأة في طبيعتها كالسم القاتل والتعليم كالسم لها لانه يبصرها بما لم تكن تراه ويدلها على عالم تكن تعلم من أنواع الشر والفتن

ولا تحمد حسانك ان توافت بأيد للسطور مقومات
فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلمات
سهام ان عرفن كتاب لسن رجعن بما يسوء مسمات

واذا لم يكن بد من تعليمهن فليقتصر على تلاوة القرآن على عجوز تقية فان عيب اللحن اهون من عار الفتنة .

ليأخذن التلاوة عن عجوز من اللائي فغرن[1] مهتمات
يسبحن المليك بكل جنح ويركعن الضحى متأثمات
فما عيب على الفتيات لحن إذا قلن المراد مترجمات

وأما الرجال فلا يسوغ الاقتراب منهم الا اذا كان الرجل هرماً ضعفت منته وخارت قوته ، وأمنت فتنته ، ولو كان أعمى فان الشهوة بصيرة

ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آياً محكمات
سوى من كان مرتعشاً يداه ولمسه من المتشفعات

(١) كذا في الأصل ولعله تزن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويرى الصلاة في بيتها افضل من المسجد خشية عليها من الفتنة

اذا ما رامت الصلوات خود فكنُّ البيت افضل مسجديها

ولا يرى الحج فرضاً عليها حذراً من الاشرار عليها وسواء في ذلك الصغيرة والكبيرة فان لكل ساقطة لاقطة

أقيمي لا أعد الحج فرضاً على عجز النساء ولا العذارى

ففي بطحاء مكة شر قوم ولبسوا بالحماة ولا الغيارى

وربما كانت تقيم الشعائر والغواة ينصبون لها الحبائل

ولكن جاءت الجمرات ترمي وأبصار الغواة الى يديها

وليس محمد فيما اتته ولا الله القدير بمحمديها

وليس الرجل في اعتقاد ابي العلاء باحسن حالا من المرأة بل هما فرسا رهان يتباريان في الشر والفتنة فهو يخاف على المرأة من الرجل بقدر ما يخاف على الرجل منها لأن الجبلة واحدة والطبع واحد ؛ فربما اغوته ان لم يغوها وعلى هذه القاعدة لا يأتمن اخا الرجل على حرمه

اذا امنتَ على مال اخا ثقة فاحذر اخاك ولا تأمن على الحرم

فالطبع في كل جيل طبع ملأمة وليس في الناس مجبول على الكرم

ولا يأمن الوليد عليهن مخافة ان يغوينه او يغويهن

إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد

فان خالفتني وعصيت نصحي فأنت وان رزقت حجى بليد

الا ان النساء حبال غي بهن يضيّع الشرف التليد

وقد اشتد في النهى عن خروجها الى الحمام

أعوذ بالله من ورهاء[1] قائلة للزوج اني الى الحمام احتاج

لأنها قد تخدعه بذلك

وهمها في امور لو يطاوعها كسرى عليها لشين الملك والتاج

وامر بضربها اذا خرجت الى العراف او المنجم وبمواثبتها اذا ابدت زينة يديها وبفراقها اذا كشفت عن ساقها .

(١) حمقاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصكّ به قَراها[١]
وساورها[٢] اذا ابدت سواراً وبارئها[٣] متى كشفت بُراها[٤]
وحذرها المنجم فهو ذئب تشوقه الضوائن[٥] ان يراها
فان هي لم تجبه الى قبيح تحلبها المنافع وامتراها

ونهاها عن مجالسة ابن الزوج والختن

لا تجلسن حرة موفقة مع ابن زوج لها ولا ختن[٦]
فذاك خير لها واسلم للاذ سان ان الفتى مع الفتن
ودم على غيرة الصبا ابداً ولا تعد في الشراب ثم تني

كما نهى عن شهودها الأعراس

نصحتك يا ام البنات فحاذري وساوس ولاج الاساود خناس
ولا تلبسي الحجلين بنتك والبرى لتشهد عرساً واشغليها بعرناس[٧]

وعن محاورة الجارة

فنزه ناظريك عن الغواني واكرم جارتيك عن الحوار

وعن النظر اليها

اذا قصر الجدار فلا تشرف لتنظر ما تستر في الجدار

والى الغاديات الى الكنائس

فلا تتعرض في طريقك ناظراً نساء النصارى غاديات الى الكنس

وعد الرجل الذي يجمع في بيته الندامى والمغنين غير حازم اذ قد يترتب على عمله فتنة

لعمرك ما زوج الفتاة بحازم اذا ما الندامى في محلته غنّوا
أتى بيته بالراح أو والشَرْب لاهياً فاما رنوا[٨] نحو الظعينة او زنّوا[٩]

(١) ظهرها (٢) واثبها او تناول رأسها (٣) فارقها او سالمها على الفراق
(٤) جمع بُرَة : الخلخال (٥) جمع ضائنة : الشاة من الغنم يريد بها المرأة
(٦) جاء الختن لمان منها : زوج البنت وكل من كان من قبل المرأة كالأب والاخ
(٧) العرناس : موضع سائخ قطن المرأة والسيخة قطعة من القطن تسبخ بعد الندف اي تلف لتغزل (٨) رنا اليه : أدام النظر (٩) زنّى تزنية بمعنى زنى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعد المرأة التي لا تقتصر على زوج شرعي شر النساء لانها مضيعة للأولاد

شر النساء مشاعات غدون سدى ... كالارض يحملن اولاداً مشاعينا
والامر لله كم أودى فتى ومضى ... عينا وخلف اولاداً مضاعينا

واعتد النكاح بغير مهر [السفاح] من اضمحلال الدين

قد اصبح الدين مضمحلا ... وغيرت آيه الدهور
فلا زكاة ولا صيام ... ولا صلاة ولا طهور
واعتاض حل النكاح قوم ... بنسوة ما لها مهور

ومن انقلاب الزمان طلب المرأة الزوج وبذل المهر منها

قلب الزمان فرب خود تبتغي ... زوجاً وتبذل غالياً من مهره

وجعل خير النساء من تصون نفسها من العار

وخير النساء الحاميات نفوسها ... من العار قبل الخيل تحمي ذمارها

هذا قليل من كثير من كلام ابي العلاء يمثل لنا غيرته على المرأة وارتيابه فيها وحرصه على عفافها وطهارتها ؛ فأين المزدكية أو الاباحة التي زعمها الذهبي والدكتور؟ بل كيف تتأتى نسبة ذلك اليه وهو على مارأيته من تشدد واسراف في الحفظ على كرامتها ؟

أما القرامطة فقد بين ان غرضهم خدع وتعليل وتوصل الى المملكة وتضليل ولعن بعض رؤسائهم وكفره في ص ١٤٥ من رسالة الغفران ولعن الجنابي في ص ١٤٧ وفضل الجاهلية عليهم في اللزوميات حيث يقول :

ما للمذاهب قد أمست مغيرة ... لها انتساب الى القداح او هجر
قالوا البرية فوضى لاحساب لها ... وانما هي مثل النبت والشجر
فالجاهلية خير من إباحتهم ... سجية الحادث الحراب او حجر
فما أفادوا سوى احلال نسوتهم ... معرضات لأهل الباطل الفجر
وان احسن من تعظيمهم رجلا ... صفرا من الحكم التعظيم للحجر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجعل تحكمهم في الناس من العكس الذي مني به البشر

عكس الأنام بحكمة من ربه فتحكم الهجري فيه وسنبر

وبين غرضهم من مذهبهم بقوله من أبيات

انما هذه المذاهب اسبا ب لجذب الدنيا الى الرؤساء

غرض القوم متعة لا يرقو ن إلى الشاء والخلساء

كالذي قام بجمع الزنج بالبص رة والقرمطي بالاحساء

فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقلا على الجلساء

ولقد فتشت في رسالة الغفران فلم ار فيها ألوانًا من اباحة القرامطة وانما رأيت فيها لونًا واحداً وهو انه كلما ذكر واحداً منهم لعنه ومن الغريب ان الدكتور يذكر ان فيها ألوانًا من اباحتهم يرويها المعري رواية الساخط عليها ثم يجعلها مما يستند اليه في نسبة الاباحة الى أبي العلاء .

وتتبعت كثيراً من أقوال المعري وآرائه ومذاهبه في الأخلاق فلم أر في شيء منها مايدل على ميله الى الاشتراكية في النساء او مايشير اليه وانما كل ما وجدته في اللزوم من جنس ما ذكرته ولولا خشية الإطالة لأوردت كل كلامه في ذلك

وليس من المعقول أن يتشدد أبو العلاء في حجاب المرأة ويسرف في الارتياب منها ويحظر عليها ما اباحه الاسلام لها من شهود الحج والصلاة والتعلم ونحوها ويبالغ في حجبها عن مخالطة الولد والختن والذهاب الى الحمام والعراف والخروج الى سطح الدار وما شاكل ذلك ويفرط في الغيرة الى حد لم يبلغه غيره . كل ذلك غيرة عليها وحرصاً على كرامتها وضناً بعفافها ثم يقال بعد ذلك انه يميل الى الاشتراكية فيها او يشير اليها ان هذا لشيء عجاب .

فهل للاستاذ الدكتور ان يرشدنا الى اقواله في رسالة الغفران او ابياته في لزوم مالا يلزم التي تثبت ميل المعري الى ذلك وتؤيد مازعمه فيه فنكون له من الشاكرين على اننا لا نعجب من تسرعه في الحكم واسرافه فيه على ابي العلاء واستنباطه من كلامه مالا يريده ولا تدل عليه فحواه فان له كثيرا من هذا النوع في ذكرى ابي العلاء وتجديده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من ذلك انه في ص ٣٠٠ تجديد . اورد للمعري أبياتاً يصف فيها النساء منها قوله

ودفن والحوادث فاجعات لاحداهن احدى المكرمات

وقد يفقدن أزواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيمات

ثم قال بعد ذلك . فانظر كيف بالغ في ذلك حتى استحسن من وأد البنات ماحرم الله ونهى عنه الدين .. الى آخر كلامه

ولقد فتشت في هذين البيتين وفي الأبيات التي قبلها فلم ار ذكراً للوأد وانما وجدت « ودفن » . والدفن غير الوأد تقول دفنت الشيء اذا اخفيته تحت اطباق التراب كما في المصباح ودفن الميت واراه واما الوأد فهو دفن الانسان حياً تقول وأد ابنته اذا دفنها حية هذا هو المشهور المعروف في عرف اللغة والشرع .

وقول ابي العلاء ودفن .. لا حداهن احدى المكرمات مقتبس عن حديث مروي عن النبي [ص] دفن البنات من المكرمات اي من الخصال التي يكرم الله بها آباءهن لأن البنت ضعيفة كثيرة المؤونة وقد تجر العار وتجلب العدو الى الدار وليس مراد النبي [ص] بقوله هذا الدلالة على كراهة البنات بل اخرج ذلك مخرج التعزية للنفس والحديث عده السيوطي صحيحاً وتكلم فيه غيره وليس هذا موضع تحقيقه وانما غرضنا ان نبين ان المعري لم يستحسن ما حرم الله ولا أتى بما يخالف كلام رسول الله فلا نعلم كيف استباح الاستاذ الدكتور لنفسه ان يحمل كلام المعري على مالايريده ولا يدل عليه صريحه ثم يرميه بالكفر واستباحة ماحرم الله تعالى وقد بينا كثيراً من مثل هذا في كتابنا المسمى بالتعريف بأبي العلاء . وسننشر طائفة منه كلما سنحت لنا فرصة ان شاء الله تعالى .

سليم الجندي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

افتتاح موسم المحاضرات

في المجمع العلمي العربي

لعام ١٩٤١ — ١٩٤٢

اعتاد المجمع العلمي العربي أن يتخذ أصيل يوم من أيام كل اسبوع محاضرة علمية يدعو اليها أهل الفضل والادب ويبتدئ موسم هذه المحاضرات في شهر تشرين الثاني وينتهي في شهر حزيران من كل عام . وقد كان موعد افتتاح محاضرات هذه السنة يوم الجمعة في ٧ تشرين الثاني . وتفضل فخامة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني بأن يرعى بعنايته السامية هذه الحركة العلمية . فترأس هذه الحفلة بشخصه الكريم يحف به دولة رئيس الوزراء المعظم السيد حسن بك الحكيم . ومعالي وزير المعارف السيد فيضي بك الأتاسي . ومعالي وزير العدلية السيد زكي بك الخطيب .

واستقبل رئيس المجمع العلمي فخامة رئيس الجمهورية وهيئة الحكومة بالكلمة الآتية :

يا صاحب الفخامة

يسر المجمع العلمي العربي أن يستقبل دورة محاضراته تحت رعاية فخامتكم وقد نالت سورية استقلالها المنشود ، وكله آمال ان يكون العهد الجديد خيراً كله للبلاد .

واذا احتفى المجمع العلمي بفخامتكم فانما يحتفي برجل كان يسارع الى حضور محاضراته منذ أول تأسيسه ويشارك أعضاءه في رغائبهم ويعطف عليهم وعلى عملهم فأنتم اذاً من أعرف الرجال بالمجمع وبما يصلحه .

ولقد شهدتكم ، شهد الله ، وانا اعمل معكم في وزارتكم الاولى أربع سنين كيف كان وجهكم يطفح سروراً كلما قام في الدولة مصنع جديد ، وما أنس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا أنس ما فهتم به مرات لما قامت مدرسة تجهيز دمشق ودار حكومة حلب وجسر الفرات الذي ربط الشام بالجزيرة ، وما كان يبدو من عنايتكم عند البداءة بانشاء تلك المدارس ودور الحكومة والطرق المعبدة وسائر المرافق .

فهل لكم اليوم ، وبيدكم أقدار هذه الديار ، ان تقلدوا تلك الاعمال الجيدة قلادة جديدة يخلدها لكم التاريخ في صفحاته الأزلية ، واعني بذلك انفاذ مشروع قديم للمجمع كان يجهر بفائدته بل بضرورته منذ أسس عام ١٩١٩ وأقل ما يعظم به النفع منه دفع خطر الحريق عن مجموعاته وكتبه وتهيئة أماكن صالحة صحية للدارسين والباحثين في غرفه وأبهائه ، وذلك باظهار المدرستين العادلية والظاهرية بمظهر يليق بمدينة كمدينة دمشق . والظاهرية والعادلية بقية زهاء ثلثمائة مدرسة دارسة كانت مفخرة من مفاخرنا .

اذا صدر أمركم العالي واستملكت العقارات المحيطة بمدخل المجمع منذ باب البريد فجرى توسيع هذا الزقاق الضيق ورفعت هذه البيوت الكئيبة التي أفسدت هواء هاتين المدرستين وشعثت رواءهما وبهاءهما ثم رمم بناؤهما حسب التصميم القديم يكون ذلك مقدمة الى تفريغ ما حوالي الجامع الأموي وانقاذه من خطر الحريق فقد حرق سبع مرات كانت النار تسري اليه من الأسواق المحيطة به على الاكثر

اذا فعلتم يبدو أعظم جامع في الاسلام فتنة للناظرين من داخله وخارجه ، وتأمن الظاهرية من خطر النار كل ساعة لأنها في جوار قمين وفرن ، ان نجت من نار الأول فقد لا تنجو من نار الثاني . ويسلم قراء دار الكتب ومستخدموها من عنت الدخان الذي يضيق الانفاس كل يوم من هذا القمين .

بهذا العمل تسجلون لكم مأثرة جليلة تحرزون بها رضا العلامة الاستاذ والدكم فانه رحمه الله كان كثيراً ما يخشى على مجموعة الحديث التي ضمتها جدران الظاهرية لعلمه بأنها اعظم مجموعة في العالم ويرجو ان تهيئ الأيام من يحييها بالطبع خدمة للاسلام والمسلمين .

هذه أمنية المجمع العظمى عرضتها على نظركم العالي وبتحقيقها تمتدون للعلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والفن الاسلامي منة كبرى وفقكم الله لما فيه سعادة هذه الجمهورية بمنه وبمنه

وبدأ فخامة الرئيس يجيب على هذا الترحاب والرجاء فقال مرتجلاً :

يا معالي الرئيس . !

ألسنا هنا في عرش أمية ، الذي طأطأ العالم رأسه بين يديه ؟

ألسنا في الينبوع المقدس ، الذي تدفقت منه أنهار الحضارة والأخلاق الى انحاء الدنيا الغارقة في الظلمات ، فغمرت عقول الناس بالنور ، وقلوبهم بأنبل الشعور ؟

ألسنا في المجمع الخالد ، الذي لم يطلق عليه اسم « البانتيون » ، ولكنه ضم هنا وهناك بقايا ملوك وزعماء ووزراء وعلماء ، كانوا آيات العبقرية وعناوين الزمان ! .

فاسمح لي يا معالي الرئيس وانا في موقفي هذا وتطوف بي ذكريات تاريخنا المجيد ، ان اقف خاشعاً وان ادعوكم جميعاً الى الوقوف خاشعين ، وان اطلب منكم خلال هذه الدقيقة الملهمة ان تفكروا في شيء واحد : في ماضينا العظيم ، وفي رجالنا الخالدين الذين عظمونا في عيون العالم .

لقد فكرتم بالرجال الذين اعزوا البلاد بعد ذل ، وعلموها بعد جهل ، واستطعتم ان تتصوروا في هذه اللحظة ما كان لنا من مجد وعظمة ، فاذا دعاني معالي الرئيس الى استبقاء هاتين المدرستين ، وتجريدهما من هذا الاطار الفقير الذي غمر رواءهما وبهاءهما ، لنحتفظ بقطعة من تراثنا الضخم ونجد فيهما رائحته فانا اقول له : سنعمل لهذا بالقدر المستطاع ، فكل ما يعني مجد البلاد وتاريخها يعنينا !

ولكنني ادعو اليوم الى عمل اكبر واعم وانفع ، ادعو ابناء البلاد الى ان ينذروا مواهبهم وقواهم متحدين متكاتفين في سبيل تأسيس دولة جديدة ، ننشيء فيها كما كان آباؤنا ينشئون ؛ ونكتب في صفحات التاريخ مثلما كانوا يكتبون ، فنحن لا نريد ان نعيش من الذكرى ، ولكننا نريد ان تعيش الذكرى بنا ، فلا يقال كان لهؤلاء آباء ! وانما يقال : هؤلاء هم الناس وكانت لهم آباء !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها السادة :

لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان تنعم أمتنا في مرحلة من ادق المراحل التي يجتازها العالم بنعمة السيادة والاستقلال ، وكل واحد منا مسؤول عن هذه النعمة مدعو الى حمايتها ، وويل لمن يريد ان يضيعها .

أما الوسيلة الى توطيد دعائم السيادة والاحتفاظ بمظاهر الاستقلال فهي الاخلاق الحميدة والثقافة الفاضلة ، وانه ليسرني كثيراً ان اعلن الآن افتتاح موسم المحاضرات في المجمع العلمي العربي متمنياً له التوفيق في عمله الثقافي والاخلاقي .

واذا كانت العادة ان تختتم الخطب في الحفلات السياسية بكلمة عاشت سورية مستقلة ذات سيادة !

فأنا أضيف الى هذا الهتاف — وقد رأيتكم تتنادون الى حلقات العلم ومجامع الفضيلة — قائلاً :

عاشت سورية المثقفة المهذبة ! وعاش رجالها العلماء ! . اهـ

وقد ظهرت خلال خطاب الرئيس الأول البهجة على وجوه الحاضرين من وعده الكريم بعمل مافي وسعه لتحقيق هذه الآمال ، وما فرغ من خطابه حتى تقدم معالي رئيس المجمع العلمي اليه شاكراً همته وحسن وعده ثم عاد الى منصة الخطابة فألقى المحاضرة الآتية :

ارشاد العامة

لو كان من وكل اليهم هداية العامة يؤمنون حقاً بما يعظون لأثرت اقوالهم التأثير المطلوب ولقلّ معظم ما نراه من شرور . الدين يقوّم المعوج ويطهر النفوس ، ولكن اذا آض الى ايدي من لا يحسنون استعماله يصبح عبارة عن رسوم وشعائر لا تدخل الصميم .

نرى المصلين في الجوامع الى اليوم ليسوا بقليل عددهم ، ولكن هل عملوا كلهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يا ترى بما يتلون وما يتلى عليهم ؟ هل هدتهم صلاتهم الى ان الله تعالى حرم عليهم الكذب والسرقة وأمرهم بالصدق والأمانة ؟ ابحثوا في شؤون هؤلاء المستهترين ، هل ترون اكثرهم عمل بقليل مما امره به الدين ام هو مسلم جغرافي ، ومسلم تشهد باسلامه تذكرة النفوس فقط .

ارجو الا اتهم بالمبالغة او باستعمال الاسلوب الخطابي ولا اطلب ممن يتهمني بذلك الا ان ادعوه ليحتك بالسوقة والمرتزقة والتجار والفلاحين فيشهد العجب من أخلاق بعضهم . نرى السارق يسرق بدون نكير والكذاب يكذب ولا يخجل ، وهناك سلسلة من التزوير والتغرير ، ولو أردنا تصفية أبناء كل حرفة من لوثاتهم ما ثبت على محك النقد الا افراد قلائل في كل قرية وفي كل حي ومنزلة .

تدبروا أخلاق اكثر اهل القرى وأخلاق اهل المدن تروا بعض الفلاحين والمدنيين سواء في الفساد وضعف الأخلاق ، لا تكاد تجد الأمين المؤتمن الا نادراً ، وكان الأجداد على عكس ذلك تغلب الفضائل النفسية على السواد الأعظم منهم في الجملة . واكثر من تعتقدون اليوم فيهم الأمانة يسرقونكم متى آنسوا منكم ضعفاً او غفلة ، اما الكذب فلم يسلم منه الا من عصم ربك ، واما الغش فما أظن المانع لبعضهم من الاسترسال فيه الا علمهم بأن اشتهارهم به يؤدي الى قطع ارزاقهم .

أمثل لكم بمثال واحد أثبت به ما أقول ، وهو تحت نظرنا كل ساعة وكل يوم ، انظروا نظر النقاد في البياعات والحاجات هل تجدون أشياء كثيرة سلمت من الغش يغشون في الكيل والوزن وفي القياس والذرع ، واكثر مواد الغذاء مغشوشة فالغش يدخل الخبز واللحم والسمن والزيت والزبد والقشدة والجبن والدبس والعسل واللبن الرائب واللبن الحليب وماء الزهر وماء الورد . واذا أرادت الحكومة ان تسيطر على العامة والمرتزقة قد يشترك من تنصبه لذلك مع الغشاشين فيزيد لص كبير الى اولئك اللصوص الصغار ، وهذا المسيطر قد يكون ممن يحمل شهادة أطول من قامته ولكن نفسيته دنيئة . معظم ما يعمل في السوق وفي خلوة مغشوش :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأدوية مغشوشة في الصيدليات والقهوة والمرطبات مغشوشة والحلويات مغشوشة والالوان المطبوخة مغشوشة . وارباب المدارك من المستهلكين يعلمون هذا ولا يستنكرونه لأنهم هم أيضاً مشاغيل بغشهم ومنهم لصوص في ثياب تجار أو زراع أو صناع .

كان اكثر العامة منذ نحو خمسين سنة يبتعدون عن الغش في الوزن والكيل وعن غش المائعات والسائلات وما كان الفلاح يجوز لنفسه غش اللبن غالباً لأنه كان يعتقد ان الله تعالى يجازيه على فعلته بهلاك بقرته او عنزته او نعجته ، وما كان يجب أن يخسر الكيل والميزان لأن الله له بالمرصاد يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة فيفجعه بأولاده ، ويرزؤه بصحته او دابته ، ويسلط الاقوياء عليه ينهبونه ويسرقون ما ادخر من مال ومؤنة ، او يسلط عليه آفة تأتي على الأخضر واليابس مما جمع . كان هذا الاعتقاد نافعاً جداً في دفع الأذى يساعد المحتسب على القيام بانفاذ قانونه على الناس في يسر وسهولة ، والمحتسب بمثابة رئيس البلدية ومدير الشرطة والصحة اليوم . اما لعهدنا هذا فقد تفلسف بعض العامة بل ألحدوا وتزندقوا فظلوا مسلمين يصلون ويصومون ولكنهم يسرقون ويفحشون في سرقاتهم . وهذا مما ينذر بسوء المصير .

انا كلما زدت معرفة بهذه الطبقات يسوء ظني بالمستقبل واعزي نفسي بأن الأخلاق قد تتردى في عهد الحروب والغوائل ولا بد أن تتحسن متى انجلت الغمرة وزالت الشدة ، ولطالما تمنيت لو قاسمني السارق برضاي ما يريد ان يسرقه مني في سر ، وكثيراً ما قلت لهؤلاء الفلاحين وغيرهم اذا طمعت أنفسكم في أخذ شيء من اشيائي قولوا لي وانا أنزل لكم عن بعضه برضاي فتأخذونه حلالاً طيباً ولا تطمعوا في أخذ شيء بدون علمي فأنا لا أريد ان استرقع واستحمق . ولطالما قلت لبعض أرباب الصناعات خذوا اجرة حسنة على ان تعاهدوني الا تسرقوا شيئاً في غيابي ، ولكن نفوس أهل هذه الطبقة زُين لها الربح من أي طريق أتى . ولكم كنت اعطي العامل واكرمه وكلما زدت في إكرامه استضعفني وغلا في نهبي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا ألوم من لا تدرك عقولهم الا المنفعة المعجلة وعقولهم في عيونهم كما يقال ، وقد تجردوا من الفضائل الكسبية والفطرية ، بقدر ما ألوم من يجيئون في طبقة أرقى من طبقتهم وهم مناط الرجاء في الهيمنة عليهم .

رأيت هؤلاء الغشاشين باعة وتجاراً يجمعون اموالاً ويبنون حوانيت وبيوتاً ويقتنون مزارع وحدائق ثم يبدد كل ما جمعوه بأدنى عارض فكنت احمد الله على ذهاب اموال جمعت بالسحت وبالغش وأجد ذلك عقوبة عادلة لهم . رأيت ثروات من احتكروا أصنافاً من القوت في الحرب الماضية تتمزق شر ممزق ، وكذلك سيكون مصير أموال من تجردت نفوسهم من كل شفقة واحتكروا في هذه الحرب تلك الأصناف ولكن الناس لا يعتبرون .

والآن ماذا يجب ان يعمل لإصلاح هذا الفساد المستشرى او تخفيف وبلاته على الأقل ، هنالك ثلاثة عوامل تفيد في تقليم اظافر الفاسدين وتعيد الى المجتمع صفوه الذي كان له في الدهر السالف . العامل الأول تطبيق القانون على من يعيشون بحقوق الخلق بدون مسامحة ولا هوادة فان قوانيننا الشرعية والوضعية كفيلة بالسعادة ، لو جرى تطبيقها على ما يجب ما احتجنا بعدها الى وازع آخر . الا أن المسألة تتوقف على انفاذ تلك القوانين ، والقوانين تغني غناءها بالتطبيق لا بجمال مادتها وانسجام عبارتها . وفي بعض الآثار : يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن (أي ان من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان اكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى) ولا بد من تضييق خناق المسيطرين على القوانين في ارشاد العامة الى الجادة وأن يطرد المتساهل من عمله ولو كان بعد من الرؤساء فالسمكة تنتن من رأسها كما يقول الأتراك في امثالهم ، والتفتيش يجب ان يتناول الكبار قبل الصغار ، فبأيديهم تسير مصالح الناس سيراً حسناً او تتلوى وتزيغ .

والعامل الثاني الخطباء والوعاظ فهؤلاء من واجبهم ابداً ان يبينوا للفاسدين مغبة عملهم على انفسهم وعلى الجماعة ، يقولون ما يقولون لهم عن عقيدة لا كلاماً لا يتعدى أطراف الشفاه ، يختلطون بالناس ويتنوعون الأساليب لمن يهم المجتمع ارجاعهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى الطريق السوي ، ويخاطبونهم باللغة التي يفهمونها ، ويدلونهم من طريق العقل والنقل الى كل مافيه صلاح نفوسهم والبعد بها عن الكذب والخديعة .

والعامل الثالث وهو الاهم قيام الامة على اختلاف طبقاتها بهداية الضالين وتذكيرهم بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم ومقاطعتهم اذا سرقوا وكذبوا وان يبينوا لهم السبب الذي من اجله قاطعوهم ، وعلى الصالحين ان يعتقدوا انهم بعملهم هذا يقومون بواجب مقدس ، واذا هم رحموا حيث لا تحل الرحمة تضيع حقوقهم وحقوق غيرهم ، وعليهم أن يعتقدوا ان واجب كل انسان ان يعتقد اعتقاداً جازماً انه هو القانون وهو الحكومة ، وانه متى تهاون فيما يرى ويسمع من منكر ولم يتقدم لاصلاحه يعد خائناً لأمته وخائناً لنفسه ، فان الفرد في معظم الأمم الراقية في الغرب يعاون الحكومة في مهمتها ويعتقد انه اذا لم يهيمن بنفسه على من يخرق قوانين بلاده يعد شريك الجاني والمجرم .

وهذا العامل الثالث من أشد العوامل الناجعة في هداية الزائغين من العامة ، خصوصاً اذا أوهم الخواص العوام انهم ليسوا أرقى منهم كثيراً ، وان بينهما درجة اذا صعدوها ماثلوهم في المجتمع وكانوا موضع الرعاية والحرمة . ولا يؤلم العامة اكثر من احتقارهم . ومن هنا جاء حسد الفقراء للأغنياء ، واعراض الجهلاء عن العلماء ، وغيرة الضعفاء من الأقوياء .

اذا اجتمعت هذه العوامل الثلاثة وعملت باخلاص وجد ينصلح الجزء الاعظم من الأمة وباصلاحه ندخل في طور جديد ونحمد غب القوانين المرعية ، واذا بقيت كما هي اليوم عادت كعلم جابر اقرأ تفرح جرب تحزن . ومن كان صلاحه بيده وهو يهمله لا يبالي فأنذره بمصير من يعلمون ولا يعملون . اهـ

ولما انتهى من المحاضرة خرج واعضاء المجمع العلمي العربي مودعين فخامته ودولة رئيس الوزراء وصاحبي المعالي وزير المعارف والعدلية متمنين ان تحقق همة فخامة الرئيس وسعي هيئة الحكومة ذلك الوعد الكريم ، وفقهم الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شرح مختصر القدوري

المسمى خلاصة الدلائل فى تنقيح المسائل

اقتنيت منذ سنوات كتاباً مخطوطاً في الفقه مخروم الأول ولعل النقص فيه لا يتجاوز الكراسة الأولى التي تحتوي على كتاب الطهارة وباب التيمم وقسم من باب المسح على الخفين الذي تبتدئ نسختنا هذه بالقسم الباقي منه ثم تلية الأبواب الأخرى .

ويستشهد الشارح بأقوال الإمامين أبي حنيفة والشافعي الا انه يقول أولا قال الشافعي ثم يردفه أحياناً بقول أبي حنيفة او أئمة الحنفية الآخرين .

وابحاث الكتاب مختصرة بقدر الامكان بيد ان الايجاز فيها لا يخل بالمعنى ولا يؤثر في الموضوع .

وليس في آخر الكتاب ما يتم على اسمه او اسم مؤلفه غير انني وجدت في نسخة مخطوطة في خزانة كتبي من مختصر القدوري تعليقات بحروف دقيقة منقولة عن «خلاصته» وهذه التعليقات فيها بعض مافي النسخة التي نبحثها الآن فترجح لي ان هناك شرحاً بذلك الاسم وبالرجوع الى كشف الظنون عن الكتب والفنون لملاً كاتب جلبي ألفيته يقول : (١)

وشرحه (اي مختصر القدوري) حسام الدين علي بن احمد مكي الرازي وسماه «خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل» وتوفي سنة ٦٩٨ ثمان وتسعين وخمسمائة وهو شرح مفيد مختصر نافع وعليه ثلاث تعليقات لابن صبيح أحمد بن عثمان التركماني الأولى في حل مشكلاته والثانية فيما اهمله من مسائل الهداية والثالثة في احاديثه والكلام عليها وتوفي سنة ٧٤٤ وسماه البطرق والوسائل الى معرفة احاديث خلاصة الدلائل . وقد جاء في آخر هذا الشرح ما يلي :

«فهذا آخر ما انتهينا اليه وقد وفينا بما ضمنا والله المستعان واليه الرغبة في

---

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ٤٠٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العفو والغفران والتجاوز والامتنان انه الكريم المنان والحمد لله رب العالمين »

ثم جاء الناسخ وعقب على ذلك بقوله :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك يوم الاربعاء ثامن عشر شهر صفر من شهور سنة ستٍ وستين وسبعمائة .. نسخه بيده لنفسه العبد الفقير الى الله تعالى الكثير العصيان الراجي من ربه العفو والغفران علي بن طاحي (كذا) بن عبد الله الحنفيّ مذهبًا المسلميّ ملبسًا [1] غفر الله له ولوالده ولمن دعا له بخاتمة خيرٍ وجميع المسلمين . آمين يا رب العالمين) .

وعلى صفحات عديدةٍ من هذا الكتاب شارات سماع وتطبيق مثل بلغ . وبلغ وصحّ . وبلغ في الأصل وبلغ وصحّ من الأصل . ولكن الكتاب لم يذيل كأمثاله بالسماع التطبيقي المعتاد توقيعه من قبل الشيخ المستمع حيث يذكر اسم الكتاب ومؤلفه واسم مُسمع الكتاب أي قارئه على المقروء عليه الذي يجيزه بعد ذلك باقرائه وبرواياته ومنقولاته ويذكر في الغالب اسماء الحضور من العلماء ولذلك فقد اختفى علينا اسم المسمع والمستمع وتاريخ السماع .

وفي الصفحات الأخيرة وصف لحادثة اعتصاب واضراب وقعت بحماة سننشرها على حدة ويظهر من عبارةٍ منسوبةٍ الى عبد الباسط بن خليل بن شاهين من علماء القرن التاسع [2] انه كان يملك هذا الكتاب فان الورقة المحتوية على تلك العبارة هي آخر ورقة من الكتاب وقد كتبت بحبر أحمر وهذا نصّ العبارة المذكورة :

---

(١) اغلب الظن ان المسلميّ هي طريقة صوفية كان ينتسب اليها الناسخ حيث يقول المسلميّ ملبساً من لبس الخرقة الصوفية التي يلبسها المرشد للمريد .

(٢) ترجم شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م لعبد الباسط المذكور فقال ما ملخصه : عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي [لعلها الملطي الأصل فجاءت مقلوبة بالتقديم والتأخير] ثم القاهري الحنفي تربل الشيخونية ولد في رجب سنة ٨٤٢ بملطية ونشأ بها وبحلب ودمشق وقرأ على علمائها وعلى جماعة من فضلاء الروم كالملا الرومي قاضي العسكر في دمشق والبرهان البغدادي في طرابلس وقدم القاهرة ولازم الملاء فيها فأجازوه ودخل المغرب ودرس فيها درس الطبّ بل اتقنه بخصوصه مع جماعةٍ وبرع في كثيرٍ من الفنون وألف ونظم ونثر وأقبل على التاريخ وتردّد اليّ له ولغيره من الدروس » الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« يقول الفقير الى رحمة القدير عبد الباسط بن الوزير عفا الله عنه هذا آخر ما قصدت بشرح الكتاب وقد وفيت بما ضمنت والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

« وكان ابتداء جمعي لهذا الشرح الوافي في أوائل ذي القعدة الحرام عام اربع وستين وثمانمائة بدمشق المحروسة فلما وصلت الى باب الجنايات عرض لي سفر الى القاهرة المحروسة فابتدأت بتعريف الجنايات الى أن كمل بها في يوم الخميس ثالث شهر الله المحرم الحرام من مفتتح شهور سنة ست وستين وثمانمائة والله سبحانه أسأل أن يتقبله مني بمنه وكرمه وأن ينفع به جميع المسلمين

« وكتبه بيده الفانية صاحبه الفقير الى الله تعالى ابو المكارم عبد الباسط بن خليل بن شاهين بن عبد الله الشهير بابن الوزير الحنفي مذهباً والملطي موطناً والدمشقي وطناً والقاهري سكناً بمسجد العامود بالسبع قاعات . »

وقد شرح كثير من العلماء مختصر القدوري هذا وهو من تأليف أبي الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨ وهو المختصر الذي يُطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب الحنفي بيد أنه لم يطبع من شروحه غير كتاب « الجوهرة النيرة » للامام أبي بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي المتوفى سنة ٨٠٠ هـ وكتاب « اللباب في شرح الكتاب » للعلامة عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي الذي أتمّ تأليفه سنة ١٢٦٨ هـ وقد طبع الثاني على هامش الأول في الاستانة سنة ١٢٧٥ وطبع في مصر سنة ١٣٢٢ ثم أُعيد طبعه بالاستانة سنة ١٣٢٣

وقد ساق صاحب كشف الظنون « جزء ٢ صفحة ٤٠٣ — ٤٠٥ من طبعة الاستانة » اسماء عشرات من الشراح . وللتعريف بالكتاب وأسلوب المؤلف ننقل منه الى القارئ الكريم باب الأذان :

« الأذان سنة للصلوات الخمس والجمعة دون ما سواها أي دون غيرها من الصلوات فانه لا أذان لها لأن التوارث بهذا جرى . والأذان هو المشهور المتعارف [1]

(١) في نسخة مخطوطة عندي من المختصر « وصفة الاذان مسنونة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيما بين الناس في سائر الأعصار والأمصار ولا ترجع فيه [١] لأن مدار الأذان على عبد الله بن زيد بن عبد ربه [٢] ولم ينقل عنه الترجع [٣] وما روي الشافعي في الترجيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي محذورة [٤] لما لقنه الأذان ارجع ومد بها صوتك محمول على التعليم والتلقين فظن ابو محذورة أنه من نفس الأذان .

ويزيد في أذان الفجر بعد الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين لقوله عليه السلام لأبي محذورة اذا أذنت للصبح فقل : « الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم » ولأنه وقت نوم وغفلة فيختص بزيادة اعلام

والاقامة مثل الاذان إلا انه يزيد فيها بعد الفلاح قد قامت الصلاة مرتين « لما روي في حديث الأذان عن عبد الله بن زيد أنه قال ثم صبر هنيهة ثم قال مثل ذلك إلا انه زاد فيه قد قامت الصلاة مرتين [٥] » وقد دفع هذا قول مالك انه يقول قد قامت الصلاة مرة واحدة وهو حجة على الشافعي في أن الاقامة فرادى ولا حجة له فيما روي انه عليه السلام أمر بلالاً أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة لأن المشهور أمر بلال ولا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ولئن صح فمعناه شفع الأذان بالصوت فيؤذن بصوتين ويقيم بصوت ويترسل في الأذان ويحدر الاقامة [٦] لقوله عليه السلام لبلال اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاحدر ويستقبل بهما القبلة لأنه

(١) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ولا ترجيع فيه

(٢) في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٧٢ عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن الخزرج الانصاري . كذا نسبه ابو عمر فزاد في نسبه ثعلبة والمعروف اسقاطه

(٣) وفي مخطوطة المختصر والمطبوع الترجيع

(٤) في الاصابة ج ٧ ص ١٧٢ ابو محذورة المؤذن اسمه أوس ويقال سمرة بن معير ويقال سلمان ويقال سلمة ويقال معير بن محيريز والاثبت انه أوس وقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم الأذان وقصته بذلك في صحيح مسلم وغيره

(٥) العبارة التي بين عضادتين في الهامش

(٦) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ويحدر في الاقامة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دعاء وثناء على الله تعالى وكان الاستقبال بها أولى . فاذا بلغ الى الصلاة والفلاح حول وجهه يميناً وشمالاً لأنه دعاء الى الصلاة واعلام وتحويل الوجه أبلغ في ذلك

ويؤذن للفائتة ويقيم لأن القضاء يحكي الفائت وعن الشافعي انه يقيم لا غير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً فأذن (بالاقامة ليلة التعريس الا ان القصة واحدة وقد روى أنه أمر [1]) فصلينا ركعتين ثم أقام فكان الزيادة أولى

فان فاتته صلوات أذن للأولى وأقام وكان مخيراً في الثانية ان شاء أذن وأقام وان شاء اقتصر على الاقامة لأنها صلوات فائتة فيسنُّ لها الأذان كالأولى وان اقتصر على الاقامة جاز لما روي عن ابن مسعود ان النبيّ عليه السلام فاتته يوم الخندق أربع صلوات حتى ذهب ماشاء الله من الليل فأمر بلالاً فأذن وأقام وصلى الظهر ثم أمره فأقام فصلى العصر ثم امره فأقام وصلى المغرب ثم امره فأقام وصلى العشاء

وينبغي أن يؤذن ويقيم على طهر [2] لأنه ذكر يتقدم الصلاة فكان من سنته الطهارة كالخطبة .

وان أذن على غير وضوء جاز لأن المقصود هو الإعلام وقد حصل .

ويكره ان يقيم على غير وضوء لأنه يؤدي الى الفصل بين الاقامة والدخول في الصلاة وانه مكروه .

ولا يؤذن وهو جنب لأنه ذكر الله تعالى وثناء عليه فأشبه القراءة

ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها [3] لأنه دعا الى الصلاة والدعاء الى الصلاة ولا صلاة محال

(١) العبارة التي بين عضادتين في الهامش

(٢) في مخطوطة المختصر على طهر وفي المطبوع على وضوء

(٣) في مخطوطة المختصر ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها « الا عند أبي يوسف فيجوز قبل الصبح» الا أن العبارة الأخيرة التي وضعناها بين عضادتين لم ترد في المطبوع كأنها من أصل المختصر بل انها اقحمت في الشرح بقول الشارح أبي بكر الحدادي وأما في الفجر فعند أبي يوسف يجوز في النصف الأخير من الليل وعندهما لا يجوز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال أبو يوسف والشافعي يجوز أذان الفجر في النصف الاخير من الليل لأن بلالاً كان يؤذن بليل الا أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه على الغرض وبين أنه لغير الصلاة فقال انه يؤذن بليل ليوقظ نائمكم ويتسحر صائمكم ١٠ اهـ .

ويظهر ان هذا الكتاب اتصل بعد ذلك برجل يدعى « محمد ابي الفتح » فقد جاء في ظهر آخر ورقة منه ما نصه :

لكاتبه عفا الله عنه

يا ربِّ للجار حقٌّ وفي الثرى صرت جارك
فلا تخيب رجائي واجعله أمراً مبارك

وتحت ذلك : ولي أيضاً مضمناً

أتى الحبُّ يوماً زارني قلت مرحباً ببدرٍ تبدّى للتواصل طائعُ
ومضمناً ناديت والحب ضاحكٌ « أبرقٌ بدا من جانب الغور لامعُ »

ومعلومٌ أنّ الشطر المضمن هو صدر بيت لابن الفارض هو :

أبرق بدا من جانب الغور لامعُ ام ارتفعت عن وجه ليلى البراقعُ

وقد أضاف اليه سبطه علي من الأبيات ما جعلها جميعاً قصيدة عصماء ألحقت بديوان ابن الفارض

ولعل أحد هواة الكتب الذين يملكون نسخة غير مبتورة من هذا الشرح يطلع على ما نقلناه من « باب الأذان » فيعلن عن ذلك لنستكمل النقص الذي في نسختنا هذه فانها صحيحة بما فيها من السماع التطبيقي والمقابلة على أصول أصح .

وبعد فان الكتاب بالقطع الكبير وعدد صفحاته نحو ٤٠٠ وطول كل ورقة ٢٨ وعرضها ١٨ من السنتيمترات وفي كل ورقة ٢١ سطراً وكل سطر مؤلف من ١٣ كلمة بحرف كبير مقروء وفي كاغد صكوكي ثخين .

عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أولية تدوين المعاجم
وتاريخ كتاب العين المروي
عن الخليل بن احمد
(٣)

٣ — التأليف على حروف المعجم وأثر الخليل بن احمد في ذلك :

بعد أن فرغ الخليل من حصره ابنية العرب بطريقة عملية شاملة ضابطة ، وبعد ان ادرج تلك الأبنية على تتابع حروف الهجاء ، لم يفته ان نهجه هذا قد أثبت لكل تركيب من تراكيب العربية مكاناً خاصاً ، يرد فيه تبعاً للحروف التي يتألف منها ، وانه اصبح في الوسع معرفة ذلك المكان ، فقال عنه الليث في كتابه : « فاذا سألت عن كلمة وأردت ان تعرف موضعها من الكتاب ، فانظر الى حروف الكلمة ، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المتقدم ، فهو في ذلك الكتاب »[1] . هب انك تريد ان تجد موضع « سمع » ، فانظر أي حرف من حروف هذه الكلمة يتقدم الآخرين في ترتيب الحروف على مخارجها ، وانك لواجد حرف « العين » ، يتلوه من الآخرين « السين » ثم « الميم » . وبما ان « سمع » ثلاثي التركيب ، ارجع الى ابواب الثلاثي في الكتاب ، وانظر فصل العين منها ، ثم ابحث عن باب العين مع السين ، فاذا وقعت عليه ، فارجع الى ضرب العين والسين مع الميم . ودليلك الذي لا يخطئ في ذلك ان الفصول والابواب والضروب رتبت جميعها على مخارج الحروف التي درجت فيها .

وكذلك وفق الخليل الى ايجاد كتاب حصرت فيه كل الأبنية ، وعرف فيه موضع كل منها ، غير أنه لم يتهيأ للخليل الوصول الى تحديد مواضع الكلمات الا عرضاً ، اي ان أسلوبه في حصر الألفاظ ادى بقصد او دون قصد ، رغبة او توفيقاً الى تحديد مواضع الكلمات .

---

(١) التهذيب للازهري ص ٤٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وادعى علماؤنا بأسبقية العرب في تأليف كتب اللغة على حروف المعجم ، وُبني بعض دعواهم على غفلة منهم بالآثار اللغوية اليونانية ، ونجم بعضه الآخر من أن العرب لم يأخذوه عن الآخرين ، وساروا به شوطاً بعيداً ، لم يدعوا فيه احداثاً جديداً لمحدث ، واستفادوا منه في كل ضرب من ضروب علومهم ، فكانوا دون جدال اربابه من دون الأمم .

على أن من الحق ان يقال ان اليونان سبقتهم اليه ، فقد ألف علماؤهما قبل ظهور الرسالة المحمدية عدداً من المعاجم ، مرتبة على حروف الهجاء ، نذكر منها معجم بامفيليوس Pamphilius اللغوي الاسكندراني ، الذي الف منه خمساً وتسعين مجلدة ، واكمله سوبيريون Sopirion [1] ، ومعجم هيلاديوس Helladius كاهن جوبتر في الاسكندرية حوالي سنة ٣٩٠ ميلادية [2] ، ومعجم هيزيشيوس Hesychius الاسكندراني [3]

وقد يجول في الذهن ان الخليل أخذ ترتيبه من هذه المعاجم وأمثالها ، وانه لا فضل له في ذلك الا اسبقيته في النقل ، وهذا رأي يبدو وجيهاً قوياً ، غير أن عللاً عديدة تنقضه وتزيله .

أولها انه ما كان للخليل أن يعرف معاجم يونان لجهله اليونانية ، ولأن حركة الترجمة في عصره لم تكن شيئاً مذكوراً ، وهي لم تجن ثمرها الا في عهد الرشيد والرشيد بويع بالخلافة سنة ١٧٠ ، اي السنة التي يغلب أن يكون الخليل قد توفي فيها . وهب ان ما ترجم في عصر الرشيد والمأمون ومن بعدهما كان معروفاً في عصره ومنها الكتب المؤلفة على الحروف ، ككتاب الحروف لارسطو ،

(١) Encyclopaedia Britannica 11th edition, 7-8. 191. (٢) النص السابق وانظر عن هيلاديوس في Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopaedie begonnen von G. Wissowa VIII,1. 105 Stuttgart, 1931

(٣) Enc. Brit. ، النص السابق ، وانظر ترجمة هيزيشيوس في Pauly-Wissowa VIII,2. 1322. ولعل معجم Herodian صاحب نيرون يدخل في هذه المعاجم على ما هنالك من الشك في ان يكون رتب على الحروف بعد عصر مؤلفه Enc. Brit. 11th, 7-8, 190.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعروف بالالهيات ، الذي نقل منه حنين بن اسحق وابنه اسحق وابوز كريا يحيى بن عدي وأسطاث [١] . وهب ان حكماء عصره ألفوا كتب الأدوية على حروف المعجم ، كما فعل ابو يعقوب اسحق بن حنين (ـ ٢٩٨) في كتاب الأدوية المفردة على الحروف [٢] ، وكما يقال عن ابيه حنين (١٩٤ — ٢٦٤) [٣] ، وككتاب قوى الادوية المفردة على الحروف لعيسى بن صهاربخت من اهل جنديسابور [٤] ، هب ان ذلك كان فليس اسلوب هذه الكتب يوحي بتأليف معجم للألفاظ اللغوية ، يحويها كاملة : فان هذه الكتب لا تضم الا عدداً قليلاً من المفردات التي لم ترتب الا باعتبار الحرف الأول منها ؛ وبحث الأدوية المفردة على ترتيب حروف الجمل (ابجدهوز) في كتاب القانون لابن سينا اكبر دليل على ما نقول [٥]

وليس يثبت أخذ الخليل عن اليونان ترتيبهم الا البرهان على اطلاعه على معاجمهم اللغوية ، وذلك امر لا دليل عليه ، والدليل على عكسه موجود ، اذ ان من المقرر أن علماء اللغة العربية والادب العربي لم يعنوا بمعرفة آثار الأدب واللغة اليونانية ، ثم تأمل قولهم في اسلوب كتاب العين ، تزدد يقيناً بعدم معرفتهم معاجم اليونان: قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، وهو شيخ من شيوخ العربية : « أبدع مؤلف كتاب العين بدائع ، لم يسبق اليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف » [٦] . وقال الزبيدي وهو من اللغويين المشهورين : « ثم ذهب الخليل في حصر جميع الكلام مذهبه من الاحاطة ، التي لم يتعاطها غيره ، ولا تعرضها أحد سواه ، فتثقف جميع الكلام وزم جميعه ، وبين قيام الأبنية من حروف المعجم وتعاقب الحروف لها بنظر لم يتقدم فيه وابداع لم يسبق اليه » [٧] . ولم يقتصر هذا القول على اللغويين ، بل قال به المؤرخون المطلعون على تواريخ القدماء

(١) الفهرست ، ٣٥١ ، ابن القفطي ٦١ — ٦٣ (٢) الفهرست ٢٨٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩

(٣) ابن ابي اصيبعة ١ : ١٩٦ وقد يكون ماذكر عنه في ذلك ترجمة لا تأليفاً ، ويؤيد ذلك ان ابن النديم ذكر له ترجمة كتاب اسمه كتاب الأدوية المفردة لجالينوس ولم يذكر له تأليفاً في ذلك (الفهرست ، ٢٩٠) (٤) الفهرست ، ٢٩٨ (٥) طبعة روما سنة ١٥٩٣ ، من صفحة ١٢٦

(٦) المزهر ١ : ٩٩ ، كشف الظنون ٢ : ٢٩٠ عن المزهر (٧) المزهر ١ : ٦١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كحمزة بن الحسن الأصبهاني ، فقد قال : [1] « صنع صاحب كتاب العين مالم يصنعه احد منذ خلق الله الدنيا ... من تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة امة من الأمم قاطبة » . اتراهم كانوا يقولون ذلك لو اطلعوا على معجم من معاجم اللغة اليونانية المخرجة على الحروف ؟ الا إن الصلة كانت معدومة بين علماء العربية وبين كتب اللغة اليونانية . واما قول ابن جلجل بأن حنين بن اسحق اتصل بالخليل وأخذ عنه العربية [2] ، فدعوى باطلة ، لأن مولد حنين كان سنة ١٩٤ [3] ، اي بعد وفاة الخليل بكثير ، وبطلانها ينقض كل ماقد يخطر بالبال من ايحاء حنين للخليل بطريقة اليونان . اما إن القول الفصل ان الخليل لم يعرف شيئاً عن أسلوب اليونان .

ألا ترى انه لو كان عرف شيئاً من ذلك لاتبع اسلوبهم ، وحذا حذوهم ، لا سيما وأسلوبهم أسهل من إسلوبه ، واقرب الى افهام الخاصة والعامة ، فترتيبهم هو الترتيب المعروف اليوم في معاجم اهل الغرب وفي معاجمنا المحدثة ، فقد درجت فيه الألفاظ باعتبار حرفها الأول ثم الثاني ثم ما يليها [4] ، وكل ذلك واضح سهل . فلِمَ يدع الخليل هذا الترتيب ، ويعمد الى أخذ مختلف مضاريب الحروف بعضها مع بعض كما رأيت ؟

ونعود إلى ما قلناه آنفاً من أن الخليل توصل الى إبداع الترتيب على حروف المعجم عرضاً ، آل به الى ذلك غايته في حصر ألفاظ العربية ، فلا علاقة لمعاجم اليونان في ذلك . بل نستطيع أن نقول اكثر من ذلك ، فندعي ان لغويي العرب

(١) وفيات الاعيان ١ : ١٧٣ ومرآة الجنان ١ : ٣٦٣ — (٢) وابن ابي أصيبعة ١ : ١٧١ ، ١٨٤ وابن البري ، ٢٥٠ وصاعد الأندلسي في طبقات الأمم ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٣٦

(٣) مايرهوف ، مقدمة كتاب المشرعة الات في العين ، — وسوتر Suter في مجلة الاسلام ، الطبعة الافرنسية ٢ : ٣٥٧ وابن ابي أصيبعة ١ : ١٩٠ (٤) معظم المعاجم اليونانية القديمة اقتصرت على اعتبار الحرف الأول والثاني وحيناً الثالث اساساً للترتيب (VII.679,Paulys) ، وهذا يؤيد لدعوانا ، اذ كيف يعقل أن يأخذ المقلد بأبعد مما وصل اليه من ينقل عنه ، فترى الخليل يعتبر حروف الكلمة اجمع لا الحروف الثلاثة الاولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أدركوا أسلوب اليونان المخالف لأسلوب الخليل ، دون ان يطلعوا على معاجمهم ، فقد مروا بمراحل أدت بهم بنتيجة تطور متتابع الى ما يشابه اسلوب اليونان . فأسلوب كتاب العين وتطور هذا الأسلوب رويداً رويداً خلال العصور أديا بهم الى حيث وصلوا ، دون ان يفتقروا الى معرفة طريقة اليونان ، وهاك ايضاح ذلك :

رأينا كيف أن الخليل لم يجد أوفق لغايته التي دفعته الى تأليف كتاب العين — الا وهي حصر أبنية العرب — من ترتيب الحروف على مخارجها ، وانه عندما فعل ذلك وجد من الخير ان يجمع في محل واحد مختلف الألفاظ التي تتكون من ضرب الحروف بعضها ببعض ، وان يفصل الثنائي عن الثلاثي عن الرباعي عن الخماسي . وسوف نرى كيف ان اللغويين بعد ان شعروا — والغاية من ترتيب الخليل قد حصلت — بالحاجة الى تأليف المعاجم على طراز يقرب سبيل الوصول الى الكلمات ومعرفة معناها ، لم يوفقوا دفعة واحدة الى ذلك ، كما لو كانوا عرفوا نهج اليونان ، بل عبروا زمناً طويلاً يدخلون التعديل تلو التعديل على اسلوب الخليل . حتى اذا قربوا من الوصول الى اسلوب اليونان تعدوه الى أسلوب آخر ، أصبح نهجهم الذي اختصوا به .

وهذا ابو اسحق ابراهيم بن الحربي (١٩٧ — ٢٨٥) لم يجد معجماً ينسج على منواله غير كتاب العين ، او ما نحا نحوه[1] ، وقد دل كتابه في غريب الحديث على انه قلد الخليل دون ان يفهم غايته ، فلم يتبع من أسلوبه الا حرصه على درج مختلف مضاريب الحروف بعضها ببعض ، كذكر (رم مع مر) و (شعر مع عشر مع شرع) ، مع خلو الفائدة من هذا الترتيب في معجم للحديث . أما درج الحروف تبعاً لترتيب ما ، وأما

(١) لم نر نسخة خزانة الاسكوريال ٥٢٢ من كتاب الجيم لابي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (— ٣٠٥ او ٣٠٦) الذي «أسسه على الحروف المعجمة وبدأه بحرف الجيم» وقيل انه ضن به في حياته ، وتفرق بعد وفاته (تهذيب اللغة للازهري ٣٤ — ٣٥ وانظر المزهر ١ : ٦٦ والبلغة ١٥٧) وذهبت كتب اللغة التي هذب فيها كتاب العين او عورض كالبارع للمفضل بن ابي سلمة (توفي نحو ٢٩٠) (ابن خلكان ٣ : ٣٥٠) ، والغالب ان هذه الكتب حذت حذو الخليل كما يدل على ذلك اسلوب الكتب التي تلتها فهي لا تظهر تجدداً بالنسبة الى أسلوبه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فصل الثنائي عن الثلاثي وغيرهما فلا [١] ، ولعل عذره في ذلك ان موضوع كتابه جديد ، وانه لم يستطع أن يجد طريقاً لجمعه ضابطاً منظماً في أبواب الكتاب الصغيرة التي لا تدخل في حصر . وسار على نهج الخليل احمد بن محمد البشتي الخازرنجي من القرن الرابع . ومع انه حاول ان ينتقد عليه ، وان ينقض كتابه ، لم يجد بداً من ترتيب كتابه على مخارج الحروف وفصل الأبنية الى ثنائي وثلاثي وغير ذلك وذكر ضروب الحروف ومقاليب الكلمات [٢] . وحذا حذو الخليل أيضاً الأزهري في تهذيبه [٣] والزبيدي (— ٣٧٩) في مختصره [٤] وابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (— ٤٥٨) في محكمه [٥] ، وينتقد ابن منظور اسلوب كتاب التهذيب والمحكم ويقول « ان كلاً منها مطلب عسر المنال ... وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلأهم عنه » [٦] وقد خفي عليه انهما اتبعا طريق الخليل ، واقتديا به دون ادخال تعديل عليه ، يقتضيه تغير الغاية والحاجة . ويشعر ابو بكر بن دريد بالحاجة الى ادخال التعديل ولكنه وقع في ابلغ مما وقعا فيه ، فهو بعد ان عدل عن ترتيب الحروف على مخارجها ، واعتز بذلك قائلاً « وأجرينا كتاب الجمهرة على تأليف الحروف المعجمة ، اذ كانت بالقلوب أعلق ، وفي الاسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة » [٧] بعد ان فعل ذلك لم يستطع أن

(١) المجلدة الخامسة من غريب الحديث للحربي (مخطوطة الظاهرية ، لغة ٤٣) ويجعل ترتيب هذا الكتاب انه يأخذ غريب أحاديث كل صحابي على حدة فيعدد هذه الأحاديث ويدرج في كل عدد ضاربه عدد من الحروف فاذا ذكر غريب حديث عبد الله بن عباس قال مثلاً : الحديث الخامس ، باب فرع ... باب عرف ... باب عفر . . باب رعف (٢) يعدد الازهري في التهذيب بعض عيوبه ومنه استدللنا على ترتيب كتابه ففي ص ٣٠ يذكر في باب العين والقاف والزاي (قوزع) وفي ص ٣٦ في باب العين والضاد مع الباء ايضين وفي ص ٣٧ في باب العين والقاف والدال قعود

(٣) طبعة مترستين وانظر البلغة ص ١١٦ وفهرس دار الكتب المصرية ١٠:٢ وبروكلمن ١٢٩:١

(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٣٦:٢ والمقدمة لابن خلدون باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥

(٥) المقدمة في باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ والبلغة ١٦٧ واكتفاء القنوع لفانديك ، مصر ١٨٩٦ ص ٣٢٠ . (٦) لسان العرب ٣:١ (٧) الجمهرة ٣:١ وفي المزهر عنه ٦٢:١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بدع منهج الخليل في أخذ مختلف ضرب الحروف بعضها ببعض وعكسها وقلبها وفصل ثنائيها عن ثلاثيها . وأخذ لنيفها ومعتلها ، وكأنه لم يدر ان ما فعله الخليل في ذلك يوافق ترتيب حروف الحلق لا ترتيب حروف الالفباء ، وان الخليل لو كان أخذ بترتيب الالفباء لاختط لنفسه طريقاً آخر . وتبع ابن دريد الصاحب بن عباد (— ٣٨٥) دون ادخال تعديل على أسلوبه[1] ، وأدرك ابو العباس احمد بن محمد بن ولاد (— ٣٣٢) مافاتهما ، وعرف أنه لا يمكن « طالب الحرف في كتاب العين ان يعرف موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ... وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، والحاقها ما تحتمل من الزوائد ومواضع الزوائد ، بعد تصريفها بلا زيادة ؛ ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب : فاذا عرف هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب العين »[2] .

وفهم ان على من كان غرضه غير ما قصد الخليل ، ان يتخذ طريقاً آخر ، وهذا ما فعل مقدماً الألف على سائر الحروف ، وذاكراً في باب الألف كل الكلمات المقصورة والممدودة ، التي تبدأ بها ، وفي كل حرف من الحروف الكلمات التي أولها ذلك الحرف . وقد سبق في ذلك جميع اصحاب المعاجم اللغوية ، لكنه لم يفكر بأن يجعل الترتيب يضم الحرف الثاني والثالث وما بعدهما ، فورد كتابه مضطرباً في ذلك ، ومن اراد ان يعثر على كلمة فيه ، وجب عليه ان يتصفح كل الكلمات التي أولها يماثل أول حرف من هذه الكلمة ، وشأنه في ذلك شأن المبتدئ الذي لابد أن يأتي عمله ناقصاً ، على انه كان أوسع فكراً من ابي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية (— ٣٦٧) الذي شعر بالحاجة الى درج الكلمات التي تبتدئ بحرف مماثل في مكان واحد ، ففعل كما فعل ابن ولاد ، قاصراً ترتيبه على الحرف الأول ، ولكنه حافظ على ترتيب الحروف

(١) الصاحب بن عباد لخليل مردم بك ، دمشق ١٩٣٢ ، ص ١١٥ — ١١٨ وفهرس دار الكتب المصرية ٢ : ٣٥ (٢) المقصور والممدود له ، مصر ١٩٠٨ ، ص ٣ وعنه في المزهر ١ : ٦٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحلقي [١] . وهذب ابو محمد بن عزيز السجستاني (— ٣٣٣) طريقة ابن ولاد ، ولم يقتصر على جمع الألفاظ المتماثلة بحرفها الأول ، بل رتبها على حركاتها الخفيفة في حرفها الأول من فتح وضم وكسر [٢] .

وترتيبا ابن دريد وابن ولاد مهذا السبيل لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٢٩ — ٣٩٥) ، فأخذ بترتيب الالفباء ، وجمع الكلمات التي أول حرف منها متماثل ، وزاد الى ذلك اعتبار الحرف الثاني والثالث في الترتيب ، غير ان اثر الخليل يظهر في عمله ، فهو يتابعه في تقسيمه للابنية الى ثنائية وثلاثية واكثر من ذلك ، فيذكر الكلمات الثنائية على حدة ، ويتبعها في الحرف نفسه بالابنية الثلاثية ، ثم « بما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف . » وقد اتبع هذا الترتيب في مجمل اللغة [٣] وعرف انه أتى بشيء جديد ، فقال « هذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه » [٤] وحافظ على الترتيب نفسه في كتابه مقاييس اللغة [٥] .

وقبل ان يظهر معجم لغوي ، يوافق تماماً ترتيب اليونان ، يظهر كتاب الصحاح للجوهري بترتيب جديد مبتكر ، لا يشابه ترتيب اليونان ولا ترتيب ابن فارس ؛ وبه

---

(١) في الأفعال الثلاثة والرباعية له ، طبعة غويدي ، ليدن ١٨٩٤ (٢) تفسير غريب القرآن له ، نسخة الظاهرية ، لغة ٣٠ والنسخة المطبوعة ، يعدد في باب الهمزة المفتوحة مثلاً : انذرتهم ، اليم ، انداداً الخ (٣) مطبعة السعادة ١٩١٣ الجزء الاول (٤) الجزء الاخير من مجمل اللغة ، مخطوطة الظاهرية ، لغة ١٢٣ ، آخر ورقة . ولكن يجب القول ان ترتيبه في ابنية الثلاثي ليس كاملاً فأول الأبواب لا يبتدئ بالباء الذي يجب ان يبتدئ به وخذ مثالاً على ذلك باب العين والذال وما يثلثها يبتدئ بعذر وينتهي بعذب والذي بعده يبتدئ بعرز وينتهي بعرج ولم نر تعليلاً شافياً لما يفعل ولعله أخذ دولابين متحركين مسننين على عدد حروف العربية على كل سن حرف من حروف الالفباء فكان يدير احد الدولابين حين يأخذ صور الثاني ويدير الدولاب الثاني حين ينتقل الى الثلاثي ويسجل الابنية المستعملة التي تخرج معه في هذا الدوران بترتيبها الذي لا يخطئ والذي يسهل له سبيل تركها والرجوع الى معاجم اللغة دون ان يختل ترتيبه . واذا فرضنا وجود صلة مابين الدولاب الاول والثاني تجعل الثاني يتحرك مع الاول حين الانتقال من حرف الى حرف أدركنا كيف أن الدولاب الثاني يستقر على حرف وجب ان لا يستقر عليه فيخطئ بذلك ابتداء الألفاظ الثلاثية (٥) النسخة المصورة في المجمع العلمي العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنفك الحلقة التي كانت تربط مختلف اجزاء تطور ترتيب المعاجم . وترتيب الجوهري هو اعتبار الحرف الأخير من المصدر أساساً للترتيب على حروف المعجم ، ومتى اجتمعت الكلمات ذات الحرف الأخير المتماثل ، رتبت باعتبار حرفها الاول ثم الثاني [١] ويرى الاستاذ مارسيه لترتيب الجوهري سببين : اولهما ان الجوهري اراد ان يكون معجمه عوناً للسجاع ، الذين انتشروا في عصره انتشاراً كبيراً ، وثانيهما ان اشتقاق الابنية يغير حرفها الأول اكثر مما يغير حرفها الأخير [٢] . وسار الترتيب على ما خطه الجوهري النابغة ، فألف تمام بن غالب بن التيان (— ٤٣٦) موعبه باعتبار الحرف الأخير أساساً للترتيب [٣] . وأخذ بهذا الترتيب محمد بن ابي الحسن صاحب المستنصر ، الذي لخص كتاب المحكم [٤] ، وتبعهم في ذلك جل اصحاب المعاجم [٥]

وقد يقال ان اصحاب الحديث ينقضون قولنا في التطور على ما درجناه عليه ، فمنهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (١٩٤ — ٢٥٦) رتب اسماء المحدثين في تاريخه الكبير على حروف المعجم [٦] ، والجواب على ذلك ان اصحاب الحديث ابعد الناس معرفة بطرائق يونان ، واتصالاً بكتبها ، وكل امرهم ان عبقرياً منهم ادرك ان اللغة غير تعداد الأسماء ، فرتب الأسماء على حروفها الأول ، لكنه لم يتعد في ترتيبه الحرف الأول [٧] ، وقلده في ذلك ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي (٢٢٤ — ٣١٠) في كتاب الكنى والأسماء [٨] ، وتبعه من غير اصحاب الحديث دون أي تعديل ابو القاسم الحسن

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ، بولاق ، ١٢٨٢ وانظر مقدمة نصر الهوريني ١ : ٧ من الكتاب والمقدمة لابن خلدون باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ (٢) من درسه في ١٣ مارس ١٩٣٦ التقاط الاستاذ محمد المبارك والاستاذ خلدون الكتاني (٣) لغة العرب ٤ : ١٧ عام ١٩١٦ على ان ابن التيان يضيف شيئاً آخر وهو جمع الكلمات ذات الوزن المماثل الواحدة تلو الاخرى (٤) المقدمة لابن خلدون في باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ (٥) ومن اللغويين من يرون ان الحرف الاخير اكثر عرضة للتغير من الحرف الاول فيرتبون معاجمهم على الحرف الاول ثم على الاخير ثم على ما يليهما كأثير الدين محمد بن يوسف بن علي الاندلسي الجياني (٦٥٤ - ٧٤٥) في كتابه تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب ، حماه ، ١٩٢٤ (٦) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ، ص ١١٠

(٧) الجزء الاول من تاريخ البخاري الكبير ظاهرية مجموع ٦٦ (١٥) .

(٨) طبعة حيدر اباد ١٣٢٢ ، راجع أقسامه المختلفة بالتتابع في ١ : ١٢ و ١ : ٦٣ و ١ : ٩٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن بشر الآمدي (— ٣٧٠) في المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء ، وابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٢٩٧ — ٣٨٤) في معجم الشعراء [١] . ولكنهم كلهم لم يدركوا شأو اليونانيين في اعتبارهم الحرف الثاني والثالث ، وما فعل ذلك الا محدثو العصر الخامس ، اكمالاً لنهج من سبقهم ، وتحريباً في تسهيل المراجعة [٢]

ومجمل القول : ان العرب اخذوا بترتيب الكتب على الحروف ، دون ان ينقلوه عن اليونان ؛ وأوصلوه بمراحل طويلة الى نهج يخالف نهجهم ، دون ان يستفيدوا مما فعلوه قبلهم ؛ ولئن كانوا جميعاً يجهلون أسلوب اليونان ، فكم أحرى بالخليل ان لا يكون مطلعاً عليه ، مع بعد زمانه عن اثر اليونان ، واختلاف اسلوبه عن اسلوبهم ، وغايته عن غايتهم .

يتبع

يوسف العش

(١) نشر هذين الكتابين الاستاذ كرنكو (٢) انظر ما يقول في ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١ : ٢١٣ والطوسي في الفهرست ص ٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطات ومطبوعات

أقاصيص تيمور

أخرج الاستاذ محمود تيمور بك في السنوات الأخيرة مجموعات من الأقاصيص ، امتازت بالدقة في الوصف ، والسهولة في التعبير ، والجمال في القص . منها « قلب غانية » ، و « فرعون الصغير » و « نداء المجهول » و « مكتوب على الجبين » .

ولن نستطيع ان نسهب في الكلام على هذه الأقاصيص ، وتبيان مافيها من جمال وفن وبراعة ورشاقة ، لأن ذلك يتطلب الصفحات الطوال ، على أننا سنوجز في سردها ، ونبين الأشاوي التي امتازت بها .

اما « قلب غانية » فمجموعة أقاصيص ، صدرها المؤلف بمقدمة عن « حافظ القصصي » وهي المحاضرة التي ألقاها المؤلف بدار الاوبرا الملكية ، في الاحتفال بذكرى حافظ ابراهيم (٧ مايس ١٩٣٧) ، وفي هذه المجموعة : سراب ، حورية البحر ، حنين ، السجينة ، الشحاذ ، الفطائر العشر ، قبلة ، أم .

اما « فرعون الصغير » فمجموعة ثانية ، صدرها الاستاذ المؤلف بحديثه الذي تحدث به في قاعة المحاضرات في الجامعة الاميركية (٥ مارس ٩٣٨) عن « المصادر التي ألهمتني الكتابة » . ذكر فيه الاستاذ كيف اصبح قاصاً ، وحبذا الطريقة يتبعها الكتاب والأدباء فيبينوا للناس ما خفي من حياتهم الأدبية ، وما ورثوه من آبائهم ، وأثر البيئة فيهم ، والحوادث الخاصة التي كان لها أثر في إنتاجهم . وهذا ما أبان عنه الاستاذ تيمور فأجاد فيه وبرع . وأقاصيص هذه المجموعة هي : غريم ، حزن أب ، غانية الحانة ، انقلاب ، أركان الوضوء ، عزرائيل القرية ، افديك بالروح ، رجل رهيب ، زمان الهنا ، غرام قديم ، ...

اما المجموعة الثالثة ، فهي « مكتوب على الجبين » وهي آخر ما جمعه الاستاذ . وفيها يظهر نضجه وكماله . تقدم لها بكلمة ألقاها في جمعية الشبان المسيحيين عن « فن كتابة القصة » ثم نشرت هذه الكلمة في مجلة « الرسالة » المصرية . وقد كشف فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السبيل التي ينبغي للقاص الناشئ اتباعها . ومن أقاصيصها : « كان في غابر الزمان وفيها يبلغ تيمور الذروة ، وأغلال ، مكتوب على الجبين ، العيون الخضر ، بمبوش ، بسمة اللبنانية ، تاج من ورق ، في خميلة الحب ، مأساة نفس ، قلب كبير ، ابتسامة ، ذات مساء ، صحبة الورد ... »[1]

* * *

أما الأشاوي التي يراها القاري واضحة في أقاصيص تيمور فهي

١ : البساطة . وهي من ابرز عناصر فنه ، فلا تكلف ولا تعقيد ، ولا لف أو دوران ، وإنك لتحسب اسلوبه الناعم كأنه الحمل يثغو وراء راعيه ، او الجدول الهازج ينساب بين الأزاهير . ولذلك تجد لأقاصيصه رفيفاً وطلاوة ، وترى عليها الرشاقة والجمال ، والفرنسيون يقولون « البساطة هي الجمال » . وهو لا يعمد في اقاصيصه الى المشوقات المبتذلة ، او المفاجآت التي تعقد القصة ، لأنه يعتقد ان هذه من وسائل القاص الضعيف ، وان قوة القصة تظهر في بساطتها وصدقها وصوغها في قالب فني رفيع . (انظر المصادر التي الحقتني الكتابة) .

وقد جمع الاستاذ في أقاصيصه البساطة التي عرف بها القصص الروسي ، والوضوح والاتزان اللذين عرف بهما قصص « موباسان »

٢ : يعنى الاستاذ تيمور بالتحليل النفسي عناية ظاهرة ، ويستمد مادة أقاصيصه من النفس الانسانية على اختلاف أشكالها ومحالها . لأن الأدب الحق كما يقول هو أن يولي الإنسان وجهه شطر النفس الانسانية . فمنها يستمد الأديب كل خالد جميل ، ويصبح الأدب الذي يصورها في أهوائها وميولها وأذواقها وطبائعها ورعوناتها وحمقها وسذاجتها ، ادباً باقياً لا يفنى .

ولذلك تجده يبرع في وصف هذه النفس وتحليل عواطفها ، ويجنح الى الواقعية جنوحاً كبيراً ، فتحسب في أحايين كثيرة انك تعرف أولئك الأبطال الذين تقرأ

(١) اما « نداء المجهول » فسنفرد لها كلمة خاصة بها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنهم وأنك قد شهدتهم مرات ومرات . وقد يخيل اليك انهم امامك تشهد حركاتهم وتسمع احاديثهم ، لأن الحياة تتدفق منهم ، ولقد وصف الشباب واهواءهم والكهول وطباعهم ، والشيوخ وشذوذهم ، والنساء وميولهن ، والمعلمين والتلاميذ ، والفتان الحيران بالجمال ، والمصري المحافظ ، والمصري المتفرنج ، ووصف أرياف مصر ، وجبال الغرب ؛ والفقراء والفلاحين والأغنياء والحضريين ...

٣ً : لا تجد في اقاصيص تيمور غلاظات بعض القصاص في النصح والوعظ والارشاد ، ولكنه يعمد للتلميح ، او يدع الحوادث تنطق ، او يصوّر فيبرع في التصوير ، فاذا هو قد ملك على القارئ امره ، وإذا بالقارئ يعلم مما اوحي اليه ان هذا حسن وذاك قبيح ، وقد ذكر الاستاذ انه لا يرى القصة منبراً للوعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل (انظر فن كتابة القصة) والقاص يوحي برموزه وظلاله وإرشاداته الى القارئ بالغرض الذي يرمي اليه .

٤ً : اسلوب تيمور في اقاصيصه ناعم حلو ناصع ، له رفيف وعليه سناء ، وهو يعني بلغته ويتخير الفاظها (وخاصة في مجموعته الأخيرة) اما الفاظه فعلى قدر معانيه ، لاحشو ولا إطناب . على أنك قد تجد في ثنايا كتاباته هنات لغويات او كلمات عاميات لاضرورة لهن ، وقد كان يستطيع ان يستبدل بهن غيرهن . وقد تلمس ضعفاً في اللغة في بعض اجزاء القصة لا يستدعيه سياقها ، وقوة في اجزاء أخر لا يتطلبه المقام .

٥ً : يتتبع الأستاذ أثر « موباسان » في اقاصيصه ، وقد تجد له اقاصيص على النمط الرومي . ولعل تتبعه لموباسان نتيجة لشغفه به ، فهو يرى « ان فنه كامل توفرت به جميع العناصر اللازمة لبناء قصة قوية من حيث عرض الموضوع ومعالجته وتحليل اشخاصه وتسلسل حوادثه ، مع الوضوح والاتزان ... » (انظر المصادر التي الهمتني الكتابة)

* * *

هذا قول موجز في اقاصيص تيمور . والحق انه ابدع لوناً رفافاً في ادبنا الحديث وهو القصة ، فبرع به واجاد ، وسبق وجلى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أفلا يدفعنا ، بعد ذلك ، ذيوع اقاصيصه[1] ، وفرادة احاديثه ، ورفيف أسلوبه ، وحلاوة تصويره ، وجمال قصه ، أن نلقبه بحق : [امير القصة في الشرق]

صلاح الدين المنجد.

(١) نقلت أقاصيص الاستاذ تيمور الى الفرنسية بعنوان

Les Amours de Sami

Les écrivains Contemporains 26, Rue des Tournelles. Paris IV°

ونقلت الى الألمانية بعناية المستشرق السويسري الدكتور ويدمار

Mahmûd Taimûr

Von D° G. Widmer

Arthur Collignon, Buchhandlung für kunst und Wissenschaft, G. m. b. H.

Berlin N W 7.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آراء وأنباء

حول « الاجابة » ايضاً

تصفحت كتاب « الاجابة » الذي رجا ناشره الاستاذ الأفغاني [1] من المطلعين عليه ، بيان مافيه ليصححه ، وإني ذاكر ماعثرت عليه

(١) ص ١٥ س ٥ . المختصر في الحديث ؛ هو في مصطلح الحديث ، كما في شرح البيقونية « قال الزركشي في مختصره : يدخل القلب والشذوذ والاضطراب في قسم الصحيح والحسن . »

(٢) ص ١٧ س ١٦ : قال ابو الفضل ابن حجر : » « الف (ابن) غيرموجودة في الأصل ، انظر الشكل الأول ، واثبات الألف هنا مردود عند العلماء ، بلا فرق في العلمين بين ان يكونا اسمين او كنيتين او لقبين او مختلفين [2].

(٣) ص١٨ س ٤ : « وغيرها » وغيرهما ، كما في الأصل انظر الشكل الأول

(٤) ص ١٨ س ٨ : « أما » هي « نا » وأصلها اخبرنا » » »

(٥) ص ١٨ س ١٩ : « قيل له » لا وجود للفظ « له » في الأصل انظر الشكل الأول من الحاشية التي أولها « نقلت الخ »

(٦) ص ٧١ س ١٥ : انها حبيبة رسول الله : انها « حبة رسول الله » طبقاً لصحيفة الأصل التي صورها في كتابه « ١٦ » وهي بهذا اللفظ في مسند احمد (ج ٦ ص ١٣٠ فكان ينبغي الإشارة إليها ، وإن جاءت في المستدرك بلفظ « حبيبة »

(٧) قوله : « وعروة وابن الزبير مقصود لا سهو فيه » فيه إيهام ان عروة غير اخي عبد الله بن الزبير ، وحافظا المشرق والمغرب ابن حجر وابن عبد البر يقولان في رواية هذين الأخوين عن خالتهما عائشة هكذا : « عبد الله وعروة ابنا الزبير » وابنا اختها عبد الله وعروة ابنا الزبير (ص ٣٦٠ و ص ٣٦١ ج ٤) من الاستيعاب والاصابة ، فمتابعتها في هذا خير من ذلك التركيب العجيب

(١) مجلة المجمع العلمي العربي للتراث (م ١٦) ص ٣٣٥ (٢) انظر المطالع النصرية ص ١١٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٨) ص ٧٣ س ١ : ابو حجاج المزي : هو ابو الحجاج (بالألف واللام) طبقاً لصحيفة الأصل أيضاً

(٩) قوله :« أعلى الدلاء من اسفلها غير صحيح » هو تصحيح لقوله : «من اسفله» فقط وهو صحيح ؛ وقوله « انظر شرح شرح المواهب للزرقاني » هو استدراك على نفسه وتصحيح لغلطه .

(١٠) قوله : ومراعاة النطق في لفظ (داوود) اولى ، وكل جائز ومثله طاووس ص ٩١ من الاجابه — ليس بسديد لدى أولي العلم والرسم ، ففي المطالع النصرية مانصه « المختار عند اهل العلم ان يكتب داود وطاوس ورؤس وفؤس بواو واحدة استخفافاً لكثرة الاستعمال» اه ص ١٣٠ قلت وهو الذي يراه الناظر في المعاجم و كتب التراجم

(١١) وهم العلامة الاستاذ كرنكو فقال في دفعوهم الافغاني في الامام البزار : المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر انساب السمعاني) : ففي كتاب الأنساب لأبي سعيد او سعد السمعاني : مات بالرملة سنة ٢٩٢ (ص ٧٨ الوجه الأول من طبعة الزنكوغراف) وفي لسان الميزان في ترجمة البزار : توفي بالرملة سنة ٢٩٢ ، وقال ابن قانع اخبرني ابنه انه توفي بالرملة سنة ٩١ «ص ٢٣٧ و ص ٢٣٨ ج ١» وفي حوادث سنة ٢٩٢ من كتاب الشذرات : وفيها الحافظ ابو بكر البزار ، احمد بن عمر بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير في ربيع الأول بالرملة (اي توفي فيها)

(١٢) ص ١٩٣ س ٣ : من العمود الثاني «حفصة بن عمر» ؛ الصواب حفصة بنت عمر

(١٣) ص ٢١٠ س ٥ : من العمود الأول ، « الاربعة (الأئمة في الحديث) ص ١٦٥ » لا وجود لهذه العبارة في الصفحة المشار اليها

(١٤) ص ٢١٨ س ١٥ : من العمود الأول ؛ « شرح جامع الجوامع » ؛ هو شرح جمع الجوامع للسبكي

(١٥) ص ٢٢٠ س ٢٠ : من العمود الأول ؛ « الصباح المنير » هو المصباح المنير

(١٦) أما ما سكت عنه من ملاحظات أستاذنا الجليل البيطار فهو اعتراف منه بصحته ، وهو مما لا يمكن أن يصحح اعتباطاً أو عفو الخاطر كما ذكر .

مسلم الغنيمي الميداني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بحث عن اثرين

عثرنا في دار الكتب الظاهرية على رسالة خطية كتب عليها [ديوان ابي العلاء المعري] وفيها قصائد على عدد حروف الهجاء كل قصيدة منها عشرة أبيات وقد التزم في كل منها ان يكون أول حرف من البيت وآخره سواء فمن اطلع على مثل هذه الرسالة أو علم بموضعها فليتفضل بابلاغ المجمع العلمي العربي في دمشق وهذا مثال من أول القصائد

أمالك ياداء المحب دواء بلى عند بعض الناس منك شفاء
بكت رحمة للصب عين عذوه فما لحبيب القلب لا يرحم الصبا

ويبحث المجمع عن قصيدة تائية منسوبة الى عامر بن عامر البصري عارض بها تائية ابن الفارض ويقول انه نظمها في ضيواس وتبلغ نحو خمسمائة بيت مرتبة على اثنى عشر نوراً كل نور يتضمن بحثاً من مطالب الصوفية الكبرى ومطلعها

تجلى لي المحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة

فالمجمع يهمه ان يعرف من هو عامر بن عامر البصري فمن عثر على شيء من هذه القصيدة او معرفة ناظمها فليتفضل باعلام المجمع ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net